اللقاء الإيماني الحادي والعشرون:

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٥>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من المبشرات التي تدل على أن فجر الإسلام قادم: رجوع كثير من أوساط المسلمين إلى الله سبحانه وتعالى، فنحن نشهد اليوم زيادة أعداد المساجد، وزيادة المصلين فيها، كما أن كثيرًا من رواد المساجد من الشباب الذين هم في مقتبل العمر، ومثل ذلك في أوساط النساء، وهن اللواتي كثيراً ما يعتلي بهن أصحاب الفجور، ويجعلونه من حبائل الشيطان ومن وسائل الإغواء، فاللواتي يلتزمن، ويهتدين، ويتسترن من النساء، أعدادهن متزايد، وليس ذلك خاصاً بشريحةٍ ولا طبقة، بل هو منتشرٌ في المستويات الراقية من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك في بلاد الكفر، فأعداد المساجد الآن في باريس وحدها تتضاعف في كل عام تقريباً، بالإضافة إلى الإقبالٍ الشديد عليها، فقلما يبنى مسجد إلا ويمتلئ، وبالأخص في أيام الجمع، بل إن كثيراً من الذين فجروا وفسقوا وأوغلوا في أنواع الفجور والعصيان؛ أصبحوا اليوم من الداعين إلى الإسلام، بل وأصبح كثير منهم من الدعاة البارزين المشاهير، وتسمعون اليوم عدداً كبيراً من الخطباء والوعاظ الذين كانوا عصاة، ثم هداهم الله كالشيخ أحمد القطان في الكويت، والشيخ محمد العوضي، والشيخ عادل الكلباني والشيخ محمد بن سعيد القحطاني والشيخ سعيد بن مسفر القحطاني، والدكتور عمرو خالد المصري الذي كان من بيئةٍ موغلة في الإسراف في أمور الدنيا، ومن أرقى الطبقات الاجتماعية في مصر، وقد تربى بعيداً جداً عن دين الله والالتزام به، وقد أصبح اليوم يهتدي على يديه بإذن الله أعداد كبيرة جداً من الناس، وقد حضر مؤتمراً إسلامياً في باريس، وهو مؤتمر اتحاد المنظمات الإسلامية العاملة في فرنسا، وحضر هذا المؤتمر أكثر من مائة ألف من المسلمين، وكان من أبلغ المحاضرين المؤثرين فيه (٤٤).

* * *

على درب التوحيد (ملائكة الرحمن ليس لها من الأمر شيء)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، إن الآلهة التي يتوجه إليها العباد بالعبادة كالملائكة مخلوقون مربوبون لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون نصرا لمن سألهم، وإنما ذلك لله ﷻ وحده، فإذا كان أولئك ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم من الملك شيء، وليس لهم من الخلق شيء، وليس لهم من تدبير الأمر شيء، وإنما تدبير أمر السماوات وأمر الأرض بيد الله وحده، فإن الذي يستحقّ العبادة وحده هو الذي يفعل تلك الأفعال ويتصف بتلك الصفات (٣٤).

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتْ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا - أي طاعة وانقياداً - لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ - أي لها صوت كصوت السلسلة على الحجر الأملس-، يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ - أي ينفذ الله إلى الملائكة الأمر الذي قضاه -{فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبا:٢٣]» (١).

فعند زوال الخوف والفزع عن الملائكة سأل عامة الملائكة خاصتهم، مثل جبريل وميكائيل عليهما السلام ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم بما قال الله جل وعلا.

فكلّ من في السماوات ومن في الأرض خائف من الله ﷻ وجلٌ إذْ هو الجليل سبحانه، ولذلك فإن الملائكة{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [النحل:٥٠]، وقال الله جل وعلا في وصفهم أيضا:{وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء:٢٨]، فدلّ على أنهم عباد فقراء إلى الله، ليس بيدهم شيء إلاّ ما أعطاهم الله سبحانه وتعالى، فلا تجوز دعوتهم من دون الله ﷻ، وإذا كان هذا في حق الملائكة ففي حق غيرهم من باب أولى وأحرى.

(١) (صحيح) خرجه (خ) ٤٤٢٤.

مشاهد من الدار الآخرة (الميزان)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، قال الإمام القرطبي ما مختصره: توهم نفسك يا أخي إذا تطايرت الكتب، ونصبت الموازين، وقد نوديت باسمك على رؤوس الخلائق: أين فلان ابن فلان؟ هلم إلى العرض على الله تعالى، وقد وكلت الملائكة بأخذك فقربتك على الله ﷻ لا يمنعها اشتباه باسمك واسم أبيك، تخطى بك الصفوف إلى ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وفي يدك صحيفة عملك، وأنت تقرأ كتابك بقلب منكسر، وكم من سيئة قد نسيتها ذكرك الله بها، فيا حسرة قلبك، ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة ربك.

قال تعالى:{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ٨].

المعنى : ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

ومن أهل العلم من قال: توزن الأعمال في الميزان، ومنهم من قال: يوزن العبد نفسه في الميزان، ومنهم من قال: توضع الصحائف في الميزان.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي في سننه عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ:«يُحْسَبُ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لَا لَكَ وَلَا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ»، قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللهِ{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)} [الأنبياء: ٤٧]»، قَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلَاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ

مُفَارَقَتِهِمْ أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ [١].

وقال تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ (٨)} [الزلزلة: ٧-٨]، والذرة هي النملة الصغيرة.

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ: اقْرَءُوا {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً} [الكهف: ١٠٥] » [٢].

وروى الترمذي في سننه وغيره عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الله سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» [٣].

وجاء في مسند الإمام أحمد وغيره عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتْ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» [٤].

هذه شهادة عظيمة من رسول الله ﷺ لعبد الله بن مسعود، فموازين الدنيا بالوزن المادي وموازين الآخرة بالتقوى.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة؛ فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت) وصححه الألباني في صت ٢٢٩٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٥٢ و(م)٢٧٨٥.
(٣) (صحيح) أخرجه (ت هـ حب ك هق) وصححه الألباني في صت ١٥٣٣.
(٤) (حسن) أخرجه (حم طيالسي ابن سعد) وحسنه الألباني في س.ص ٢٧٥٠ .

الملائكة: يا رب! لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. ويوضع الصراط مثل حد الموسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي. فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» (١).

* * *

أمين هذه الأمة (أبو عبيدة بن الجراح ﷺ <٣>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا ننهل من السيرة العطرة لأمين هذه الأمة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ فهيا بنا.

زهد أبي عبيدة بن الجراح ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي : عن عروة بن الزبير ﷺ قال: لما قدم عمر بن الخطاب من الشام تلقاه أمراء الأجناد وعظماء أهل الأرض، فقال عمر ﷺ: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة، قالوا: يأتيك الآن، فلما أتاه نزل فاعتنقه، ثم دخل عليه بيته فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: ألا اتخذت ما اتخذ صاحبك؟ فقال: يا أمير المؤمنين هذا يبلغني المقيل (٢٠).

والله يا إخوة لقد باع هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم الدنيا فأعطاهم الله الدنيا والآخرة، فهلا تأسينا بهم فنفوز فوزا عظيما.

ذكر تواضعه وإنصافه لرعيته ومساواته لهم:

جاء في (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للمحب الطبري: روى أبو حذيفة ﷺ في فتوح الشام أن أبا بكر قد بعث عمرو بن العاص في نفر وقال له: يا عمرو؛ هؤلاء أشراف قومك يخرجون مجاهدين في سبيل الله، بائعين أنفسهم لله، فاخرج فعسكر حتى أندب الناس معك، فقال عمرو: يا خليفة رسول الله

(١) (صحيح لغيره) أخرجه (ك) وقال الألباني في صت ٣٦٢٦ صحيح لغيره.

ألست أنا الوالي على الناس؟ قال: بلى، أنت الوالي على من أبعثه معك من ههنا؛ فقال: بل على من أقدم عليه من المسلمين؛ قال: فقال: لا، ولكن- أي ولكنك- أحد الأمراء فإن جمعتكم حرب فأبو عبيدة أميركم؛ فسكت عمرو، ثم.. جاء إلى عمر فقال: يا أبا حفص، قد علمت نصرتي في الحرب ومناقبي في العدو؛ وقد رأيت منزلتي من رسول الله ﷺ وقد أرى أبا بكر ليس يعصيك، فأشر عليه رحمك الله أن يوليني أمر هذه الجنود بالشام، فإني أرجو أن يفتح الله على يدي البلاد، وأن يريكم الله والمسلمين ما تسرون به؛ فقال عمر: ما كنت لأكذبك، ما كنت لأكلمك في ذلك: وما يوافقني أن يبعثك على أبي عبيدة وأبو عبيدة أفضل عندنا منزلة منك، قال: فإنه لا ينقص أبا عبيدة شيئاً من فضله إن ولاني عليه؛ قال: فلما قدم عمرو على أبي عبيدة قال له أبو عبيدة: مرحباً بك يا أبا عبد الله رب يوم قد شهدته مباركاً للمسلمين فيه برأيك ومحضرك، وإنما أنا رجل منكم، لست - وإن كنت الوالي عليكم - بقاطع أمراً دونكم فاحضرني برأيك في كل يوم بما ترى، فإنه ليس لي عنك غنى، قال: فقال عمرو: أفعل، وفقك الله لما يصلح للمسلمين ونكبت به العدو.

هكذا ينبغي لولاة أمور المسلمين أن يتعلموا من هذا الصحابي الجليل كيف تكون الشورى مع أولي العقد والشورى.

وفاة أبي عبيدة بن الجراح ﷺ:

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أَبي سعيد المَقْبُري قال: لما طُعن أبو عبيدة ﷺ - أي مرض بالطاعون وذلك في طاعون عمواس بالأردن وفيها قبره سنة ١٨هـ وهو ابن ٥٨ سنة- قال: يا معاذُ صلِّ بالناس، فصلى معاذ بالناس، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ في الناس فقال: يا أيّها الناس، توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً فإن عبد الله لا يلقى الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له. ثم قال: إنكم أيها الناس، قد فُجِعتم برجل والله ما أَزعم أَني رأيت من عباد الله عبداً قطُّ.. أبرأ صدراً، ولا أَشد حباً للعاقبة، ولا أَنصح للعامة منه، فترحَّموا عليه ثم أَصْحِروا للصلاة عليه- أي اخرجوا إلى الصحراء للصلاة عليه -، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً، فاجتمع الناس وأُخرج أَبو عبيدة ﷺ وتقدَّم معاذ ﷺ فصلّى عليه، حتى إذا أُتي به قبره دخل قبره معاذ بن جبل وعمرو بن العاص والضحَّاك بن قيس، فلما وضعوه في لحده وخرجوا فشنّوا

عليه التراب، فقال معاذ بن جبل: يا أبا عبيدة، لأُثْنِيَنَّ عليك ولا أقول باطلاً أَخاف أَن يلحقني بها من الله مَقْتٌ: كنتَ والله ما علمتُ من الذاكرين الله كثيراً، ومن الذين يمشون على الأَرض هَوْناً وإِذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، ومن الذين إِذا أَنفقوا لم يُسرفوا ولم يقتُروا وكان بين ذلك قواماً، وكنت والله من المُخبتين- أي من تخشع قلوبهم لله ﷻ -، المتواضعين، الذين يرحمون اليتيم والمسكين ويُبغضون الخائنين المتكبرين [1].

انظروا - يا إخوة - كيف يثني إمام العلماء معاذ بن جبل ﷺ على أبي عبيدة بن الجراح بعد وفاته ويقول: إنكم أيها الناس، قد فُجِعتم برجل والله ما أَزعم أَني رأيت من عباد الله عبداً قطُّ.. أبرأ صدراً، ولا أَشد حباً للعاقبة، ولا أَنصح للعامة منه، فترحَّموا عليه ثم أَصْحِروا للصلاة عليه، فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً.

يا لها من منقبة عظيمة وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ»[2]، نسأل الله تعالى له الفردوس الأعلى من الجنة.

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) أخرجه (ك) ٥١٤٨ وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٩٤٩ .

اللقاء الإيماني الثاني والعشرون:

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٦>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، ما زال الحديث متصلا عن المبشرات بأن فجر الإسلام قادم، فإن عددًا كبيرًا من الذين يرتادون المساجد اليوم في كل مدينة من مدن العالم، كانوا قد فجروا وبغوا وطغوا ووصلوا إلى ذروة العصيان، ثم هداهم الله، فرجعوا طائعين غير كارهين، وأقبلوا على الدين من جديد، اليوم شباب الجزائر خير من كهولها، وهذا دليلٌ على أن الصحوة بدأت من جديد؛ ولذلك فإن بعض طلاب العلم الدارسين هنا في موريتانيا من أبناء الجزائر يذكرون أن آباءهم كانوا أعداءهم، يمنعونهم من الصلاة، ويمنعونهم من قراءة القرآن، ويمنعونهم من الأذكار، وإذا وجدوا عندهم أي كتاب مزقوه، ويحاولون أن يكون معاشهم من الخمر وأنواع الفجور، ومع ذلك خرج من هؤلاء طلاب للعلم، مهاجرون بدينهم. وأذكر شاباً أتانا قبل سنوات هنا في المحضرة من بلاد المغرب، وما زال موجوداً هنا في موريتانيا حسب ما أعتقد، ذكر أنه مات أبوه وترك له خمّارة! فكان يبيع فيها الخمر، ولقد وجد أباه يكتسب بذاك الكسب، ولم تكن له هوايةٌ إلا جمع الدراهم والدنانير، وهو مشتغل بذلك، يقول: حتى أتاني شاب أنيق نظيف، فكان يجلس إليّ ويتحدث إليّ، ثم بدأ يدعوني لزيارة المسجد، فزرت معه مسجداً، ثم دعاني لقراءة الحزب من القرآن، وهو أمرٌ معهود في المغرب، فأهل المسجد جميعاً يأخذون المصاحف ويقرءون حزباً واحداً بنغمة واحدة، قال: ثم بدأت ألتزم بأوقات الصلاة إلا صلاة الفجر، ثم فوجئت أن هذا الشاب الصديق صار يأتيني في وقت الفجر ويوقظني، فأذهب معه إلى المسجد، وبعد فترة ناقشني في قضية العمل في الخمر، وقال: أليس الأولى بك أن تحول هذا المتجر إلى متجر من نوع آخر أكثر ربحاً، وأكثر زواراً ورواداً، وأطيب؟ قال: أول مرة أسمع أن الخمر كسب خبيث، وكان مفاجأة لي، ثم عرفت أنه قد صدقني، وأنه محبٌ لي، فكان هذا سبب هدايته (٤٤).

* * *

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <١>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، لما كان المشركون قديماً وحديثاً يعبدون من دون الله الأصنام والأشجار والأحجار والقبور والأضرحة والأولياء والصالحين والملائكة والأنبياء، فإذا أنكر عليهم ذلك قالوا: {هَـؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ (١٨)} [يونس:١٨]، فإذا سألت هؤلاء الكفار عن ذلك يقولون: نحن نعلم أنهم مخلوقون، وأن الأمر بيد الله، ولكن هؤلاء لهم مكانة عند الله، ونريد منهم أن يشفعوا لنا عند الله، فيذبحون للأولياء والصالحين والأشجار والأحجار، ويستغيثون بهم، ويصرفون لهم أنواع العبادة، فإذا أنكر عليهم قالوا: غرضنا من ذلك هو الشفاعة فقط، فبين الله أن ذلك هو الشرك، و الشفاعة في كتاب الله قسمين:

الشفاعة المنفية: وهي الشفاعة التي تطلب من غير الله، هذه الشفاعة منفية، لأن الشفاعة مِلْكٌ لله، لا تُطْلَب إلاَّ منه، وكذلك الشفاعة التي تُطلب فيمن لا تُقْبَل فيه، وهو الكافر، فالكافر والمشرك لا تقبل فيه الشفاعة: {مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)} [غافر:١٨]، وقال الله تعالى: {وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ (٤٨)} [البقرة:٤٨] (٦).

والشفاعة المثبتة: وهي التي توفر فيها الشرطان: الشرط الأول: أن تُطلب من الله، قال تعالى: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (٢٥٥)} [البقرة:٢٥٥]، والشرط الثاني: أن تكون فيمن تُقْبَل فيه الشفاعة، وهو المؤمن الموحِّد الذي عنده شيء من المعاصي دون الشرك، فهذا تُقبل فيه الشفاعة بإذن الله، قال تعالى: {وَلا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى(٢٨)} [الأنبياء:٢٨]، وهم أهل الإيمان (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (الحطاب <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل

الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ. هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ لِيَتْبَعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرَ أَهْلِ الْكِتَابِ فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؟ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلَا وَلَدٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا؟ قَالَ فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ، فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ تُتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ: اللهمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهَ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزِلَّةٌ- الموضع الذي تزل فيه الأقدام - فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ - أي الخيل الجيدة-،

وَالرِّكَابِ - أي الإبل- فَنَاجٍ مُسَلَّـــمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْـــدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ..»[1].

* * *

شهيد يمشي على وجه الأرض (طلحة بن عبيد الله ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع شهيد يمشي على الأرض ألا وهو طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن تيم ﷺ، وشهد طلحة أحداً وثبت يومئذ مع رسول الله ﷺ ووقاه بيده فشلت إصبعاه وجرح يومئذ خمس وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وسماه رسول الله ﷺ يوم أحد طلحة الخير، ويوم غزوة ذات العشيرة طلحة الفياض ويوم حنين طلحة الجود (٢٨).

طلحة ﷺ يوم أحد:

جاء في سنن النسائي عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَوَلَّى النَّاسُ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ وَفِيهِمْ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَأَدْرَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ،ثُمَّ الْتَفَتَ فَإِذَا الْمُشْرِكُونَ، فَقَالَ: مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، قَالَ: كَمَا أَنْتَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ: أَنَا فَقَالَ: أَنْتَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ وَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَيُقَاتِلُ قِتَالَ مَنْ قَبْلَهُ حَتَّى يُقْتَلَ، حَتَّى بَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ لِلْقَوْمِ؟ فَقَالَ طَلْحَةُ: أَنَا، فَقَاتَلَ طَلْحَةُ قِتَالَ الأَحَدَ عَشَرَ، حَتَّى ضُرِبَتْ يَدُهُ فَقُطِعَتْ أَصَابِعُهُ، فَقَالَ: حَسٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللَّهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلاَئِكَةُ، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ ثُمَّ رَدَّ اللهُ الْمُشْرِكِينَ[2].

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ ، و(م) ١٨٣ واللفظ لمسلم.

(٢) (حسن) أخرجه (ن) ٣١٤٩ وحسنه الألباني.

وروى البخاري في صحيحه عَنْ قَيْسٍ البَجَلِي قَالَ: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلاَّءَ - أي مشلولة لايستطيع استخدامها - وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ (١).

أخي الحبيب، لقد ظل طلحة ﷺ يدافع عن رسول الله ﷺ حتى شلت يده دفاعاً عن النبي ﷺ وأنت لا تستطيع - يا أخي - أن تحجب يديك عن أكل الحرام، ولا تستطيع أن تحجب يديك عن ظلم العباد، ولا تستطيع أن تحجب يديك عن كل ما يغضب الله، ولا تستطيع أن تحجب رجليك عن كل معصية تمشي في معصية لله سبحانه وتعالى، فهلا تعلمنا من طلحة ﷺ؟!.

فضائل طلحة بن عبيد الله ﷺ:

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى جَبَلِ حِرَاءٍ فَتَحَرَّكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ، وَعَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ» (٢).

وجاء في سنن الترمذي في سننه والحاكم في المستدرك عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ» (٣).

وأخرج الترمذي وابن ماجة في سننهما عَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ: أَلاَ أُبَشِّرُكَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «طَلْحَةُ مِمَّنْ قَضَى نَحْبَه» (٤).

ذكر جوده وسماحة نفسه:

جاء في المعجم الكبير للطبراني عَنْ طَلْحَةَ بن يَحْيَى، عَنْ جَدَّتِهِ وَهِي امْرَأَةُ سُعْدَى، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا طَلْحَةُ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ ثِقَلا، فَقُلْتُ: مَا لَكَ، لَعَلَّ رَابَكَ مِنَّا شَيْءٌ فَنُعْتِبَكَ ؟، قَالَ: لا، وَلَنِعْمَ حَلِيلَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ أَنْتِ، وَلَكِنِ اجْتَمَعَ عِنْدِي مَالٌ وَلا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ بِهِ، قَالَتْ: وَمَا يَغُمُّكَ مِنْهُ ؟ أُدْعُ قَوْمَكَ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٣٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٧.
(٣) (صحيح) أخرجه (ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٩٦٢.
(٤) (صحيح) أخرجه (ت هـ) وصحيح الألباني في ص.ج ٣٩١٦ .

فَاقْسِمْهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ : يَا غُلامُ، عَلَيَّ قَوْمِي، فَسَأَلْتُ الْخَازِنَ : كَمْ قَسَمَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ. (١). ولم لا؟! ولقد تربوا على مائدة رسول الله ﷺ على الإنفاق في سبيل الله فهل تعلمنا الدرس؟!.

طلحة بن عبيد الله ﷺ والفتنة:

كانت موقعة الجمل في العام السادس والثلاثين من الهجرة، وكان طلحة والزبير وعائشة ﷺ في فريق وعليٌّ في الفريق الآخر، ويمكن معرفة تفاصيل هذه الوقعة بالرجوع للقاء الإيماني السادس عشر، وقُتِلَ طلحة والزبير بن العوام وبكي عليهم علي بن أبي طالب وأصحابه، والعجب من ذلك أن عليا هو الذي قام بنفسه وصلى على قتلى الطرفين، ودفن أطرافهم جميعا في قبر واحد كبير عظيم.

وأخرج الحاكم في المستدرك عن ربعي بن حراش قال: إني لعند علي ﷺ جالس إذ جاء ابن لطلحة فسلم على علي ﷺ فرحب به فقال: ترحب بي يا أمير المؤمنين و قد قتلت أبي و أخذت مالي؟ قال: أما مالك فهو ذا معزول في بيت المال فاغد إلى مالك فخذه، و أما قولك قتلت أبي فإني أرجو أن أكون أنا و أبوك من الذين قال الله ﷻ :{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [الحجر:٤٧]، فقال رجل من همذان : إن الله أعدل من ذلك فصاح عليه علي صيحة تداعى لها القصر قال: فمن إذاً إذا لم نكن نحن أولئك (٢).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (حسن موقوف) أخرجه (طب) وحسنه الألباني في صت ٩٢٥.

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) ٣٣٤٨ تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح

اللقاء الإيماني الثالث والعشرون:

(المبشرات على أن فجر الإسلام قادم <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن أصواتاً مرتفعة الآن تصرخ في الغرب وتنادي وتحذر من قدوم الإسلام، يقول المفكر الشهير إسبنجلز: "إن للحضارات دورات فلكية، فهي تغرب هنا لتشرق هناك، وإن حضارة أوشكت على الشروق في أروع صورة، ألا وهي حضارة الإسلام، الذي يملك وحده أقوى قوة روحانية عالمية نقية".

فلا تغتروا بما عند الشرق أو الغرب، فإن الغرب الآن ينهار من الداخل، وتعجبني عبارة سيد قطب رحمه الله إذ يقول: "إن أحشاء الغرب تتمخض الآن بمولود جديد يسمى الإسلام" إنها الفطرة، فطرة الله جل وعلا، ما من واحدٍ من هؤلاء عرف الإسلام وحقيقة الإسلام إلا وشرح الله ﷻ صدره له، لكن يبقى أن نقدم لهم الإسلام بصورته المشرقة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ.

أيها الأحبة، إن أطباء الغرب وعلماء الغرب يقفون الآن في دهشة وحيرة أمام حالات الانتحار الجماعية، وأمام الحالات المتزايدة للمصابين بالحالات النفسية والعصبية؛ لأن هؤلاء قد أعطوا البدن كل ما يشتهيه، وبقيت الروح في أعماق البدن تصرخ وتبحث عن دواءٍ، وتبحث عن غذاء، ولا يعلم دواء وغذاء الروح إلا خالق الروح:{وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} [الإسراء:٨٥]، نرى في الأفق كوكبة مضيئة، إنه أعظم حدثٍ في النصف الثاني من القرن العشرين، وهذا من الآمال العظيمة، والبشارات الكبيرة أن نرى شباباً في ريعان الصبا، ونرى فتياتٍ في عمر الورود، ما من يومٍ يمر إلا وتلتحق جموع بالصحوة الراشدة، أسأل الله أن تكون كذلك.

نرى الآن في مصر و الجزائر وغيرها، بدون مبالغة عشرات الألوف من الإخوة الشباب، والأخوات الملتزمات وسط هذه الفتن، ووسط هذه الضربات، يحرص الجميع على حضور المحاضرات، وعلى حضور خطب الجمعة، لا

في المساجد بل في الشوارع، وتحت حرارة الشمس المحرقة، يصلون على الأرض وعلى التراب.

فأينما توجهت يا عبد الله وجدت خشوعاً ورجوعاً جديداً إلى الله، ووجدت شباباً يبكي ويتضرع وقد ولى ظهره لـ واشنطن و بنكوك و لندن و باريس و مدريد، ووجه وجهه من جديد لـ مكة زادها الله تشريفاً وتكريماً، ولى وجهه صوب بيت الله الحرام، وأعطى ظهره لعواصم الكفر على ظهر الأرض، ويصرخ بأعلى صوته، ودموع الخشوع والبكاء والندم تتلألأ على وجهه الأنور الأزهر، وهو يقول: آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، نريد كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إنها الصحوة المباركة، إنه الأمل الذي أقلق العالم كله الآن في النصف الثاني من القرن العشرين (٤٥).

* * *

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٢>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة: هناك واسطة من أنكرها كفر، وواسطة من أثبتها كفر، فالواسطة التي من أنكرها كفر: هم الرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ أمر الله سبحانه وتعالى، أما الواسطة التي من أثبتها كفر، فهي: جعل الوسائط بين الخلق وبين الله في قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، هذه من أثبتها كفر، لأن الله كفّر المشركين في ذلك، والله جل وعلا أمرنا أن نتوجّه إليه مباشرة بدون أن نوسّط أحداً،، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ}، فهذا إبطال لمن يزعمون أنها تقربهم إلى الله زلفى، لا أصحاب القبور، ولا الأشجار، ولا الأحجار، ولا الأصنام، ولا أي مخلوق حتى ولا الأنبياء ولا الملائكة ليسوا الواسطة بين الله وبين خلقه في قضاء الحاجات..، أما الواسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ الرسالات، فهذا أمر

ثابت أ.هـ.

وقال تعالى: {اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ الْحَـيُّ الْقَيُّـومُ لاَ تَأْخُـذُهُ سِـنَةٌ وَلاَ نَـوْمٌ لَّـهُ مَـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِـهِ يَعْلَـمُ مَـا بَـيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ(٢٥٥)} [البقرة:٢٥٥]، وهي أعظم آية في كتاب الله ﷻ، لأنها اشتملت على النفي والإثبات: نفي النقائص عن الله تعالى، وإثبات الكمال لله ﷻ والشاهد من هذه الآية: أنه لا أحد يشفع عند الله ﷻ بدون إذنه لا الأنبياء، ولا الملائكة، ولا الأولياء، ولا الصالحين، أي أن الشفاعة لا تكون إلاّ بإذن الله، ففي هذا رد على المشركين الذين اتخذوا الشفعاء بدون إذنه سبحانه وتعالى في ذلك، وزعموا أن هؤلاء الشفعاء يقومون بما يريدون منهم عند الله ﷻ، ولذلك صرفوا لهم العبادة، فصاروا يذبحون للقبور، وينذرون لها، ويطوفون بها، ويتبركون بها، ويتمسحون بترابها، وبجدرانها، يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون: {هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ}، تركوا الله ﷻ وعبدوا غيره، فعملهم حابط باطل، لأنهم يضعونه في غير محله، وقاسوا الخالق على المخلوق (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «..حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ:

رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الحَدِيثِ فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: {إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا} فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: شَفَعَتْ المَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ المُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنْ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصَيْفِرُ وَأَخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ، هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمْ اللهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ العَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا...»[1].

* * *

حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضي الله عنه <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع حواري رسول الله ألا وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد رضي الله عنه، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وأسلمت وأسلم الزبير قديما وهو ابن ثماني سنين، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين جميعا، ولم يتخلف عن غزاة غزاها رسول الله ﷺ، وهو أول من سل سيفا في سبيل الله، كان له من الولد عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصم، والمهاجر وآخرون (٢٨).

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٠٠١ و(م) ١٨٣ واللفظ لمسلم.

جهاده في غزوة بدر:

روى البخاري في صحيحه عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ ﷺ: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ - مغطى بالسلاح فلا يظهر منه شيء - لاَ يُرَى مِنْهُ إِلاَّ عَيْنَاهُ وَهُوَ يُكْنَى أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ - أي رمح قصير عريض النصل - فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَضَعْتُ رِجْلِي عَلَيْهِ ثُمَّ تَمَطَّأْتُ - أي مددت يدي مدا شديدا - فَكَانَ الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا - أي المشقة العظيمة في نزعها - وَقَدْ انْثَنَى طَرَفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ، فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا، فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، وَقَعَتْ عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ[1]. وهذا الخبر يصور لنا قوة الزبير الجسدية ودقته في إصابة الهدف.

جهاده في غزوة أحد:

وجاء في صحيح مسلم عَنْ عُرْوَةَ ﷺ قَالَ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ ﷺ: كَانَ أَبَوَاكَ مِنَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ - أي في حمراء الأسد- تعني أبا بكر والزبير[2]، ونزل في ذلك قول الله تعالى:{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ(١٧٤)} [آل عمران:١٧٣-١٧٤].

المعنى : وهم الذين قال لهم بعض المشركين - أي صحابة رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد- : إن أبا سفيان ومن معه قد أجمعوا أمرهم على الرجوع إليكم لاستئصالكم، فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم، فزادهم ذلك التخويف يقينًا وتصديقًا بوعد الله لهم، ولم يَثْنِهم ذلك عن عزمهم، فساروا إلى حيث شاء الله، وقالوا: حسبنا الله أي: كافينا، ونِعْم الوكيل المفوَّض إليه تدبير

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٧٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٨.

عباده. فرجعوا من "حمراء الأسد" إلى "المدينة" بنعمة من الله بالثواب الجزيل وبفضل منه بالمنزلة العالية، وقد ازدادوا إيمانًا ويقينًا، وأذلوا أعداء الله، وفازوا بالسلامة من القتل والقتال، واتبعوا رضوان الله بطاعتهم له ولرسوله. والله ذو فضل عظيم عليهم وعلى غيرهم.

جهاده في غزوة الخندق:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ يَوْمَ الأَحْزَابِ جُعِلْتُ أَنَا وَعُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ فِي النِّسَاءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، فَلَمَّا رَجَعْتُ قُلْتُ: يَا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ قَالَ: أَوَهَلْ رَأَيْتَنِي يَا بُنَيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ يَأْتِ بَنِي قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِمْ»، فَانْطَلَقْتُ فَلَمَّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَوَيْهِ فَقَالَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي[1]، فهنيئا لك يا حوري رسول الله.

جهاده في غزوة خيبر:

لما دنا علي ﷺ من حصونهم اطلع يهودي من رأس الحصن، وقال: من أنت؟ فقال: أنا عليٌّ، فقال اليهودي: علوتم وما أنزل على موسى، ثم خرج ياسر أخو مرحب، وهو يقول: من يبارز؟ فبرز إليه الزبير، فقالت صفية أمه: يا رسول الله، يقتل ابني، قال: بل ابنك يَقْتُله، فقتله الزبير (١٩).

جهاده في معركة اليرموك:

روى البخاري عَنْ عُرْوَةَ ﷺ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ: أَلاَ تَشُدُّ فَنَشُدَّ مَعَكَ، فَقَالَ: إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ، فَقَالُوا: لاَ نَفْعَلُ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ، ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلاً فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ فَضَرَبُوهُ ضَرْبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضُرِبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ، قَالَ عُرْوَةُ: كُنْتُ أُدْخِلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ، قَالَ عُرْوَةُ: وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلاً [2].

كان الزبير بن العوام ﷺ مُقِلًّا في رواية الحديث:

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥١٥ و (م) ٢٤١٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ)٣٧٥٦.

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما قَالَ: قُلْتُ لِلزُّبَيْرِ رضي الله عنه: إِنِّي لاَ أَسْمَعُكَ تُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا يُحَدِّثُ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أُفَارِقْهُ وَلَكِنْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:«مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ» [1].فلقد كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يخشى أن يحدث بحديث عن رسول الله ﷺ فيخطأ فيه بغير عمد فيقع في الكذب دون أن يشعر، فيكون من الذين توعدهم رسول الله ﷺ بالنار يوم القيامة، رضي الله عنه وأرضاه، فهذا من ورع الزبير بن العوام الزائد وإلا فإن لم يبلغ صحابة رسول الله ﷺ هذا العلم عن رسول الله فكيف تصل إلينا إذًا سنة رسول الله ﷺ، ولقد حث رسول الله ﷺ أمته على التمسك بسنته، وسنة الخلفاء الراشدين المهدين فَقَالَ:« فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » [2].

مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه:

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ عَلَى حِرَاءٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «اهْدَأْ! فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»[3].

وهذه من دلائل النبوة، وكذلك من مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وروى البخاري في صحيحه عن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: أَصَابَ عُثْمَانَ رضي الله عنه رُعَافٌ شَدِيدٌ سَنَةَ الرُّعَافِ حَتَّى حَبَسَهُ عَنْ الْحَجِّ وَأَوْصَى، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ: اسْتَخْلِفْ.قَالَ: وَقَالُوهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ؟ فَسَكَتَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ آخَرُ أَحْسِبُهُ الْحَارِثَ فَقَالَ: اسْتَخْلِفْ، فَقَالَ عُثْمَانُ رضي الله عنه: وَقَالُوا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ هُوَ؟ فَسَكَتَ قَالَ: فَلَعَلَّهُمْ قَالُوا: الزُّبَيْرَ. قَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَخَيْرُهُمْ مَا عَلِمْتُ، وَإِنْ كَانَ لأَحَبَّهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [4].

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٠٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (ت د هـ حب) وصححه الألباني في صت ٣٧ .
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٧.
(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥١٢.

فيا لها من منقبة عظيمة لحواري رسول الله ﷺ، يشهد ذو النورين ﷺ بأن الزبير بن العوام ﷺ من أفضل الصحابة، ومن أحب الصحابة لرسول الله ﷺ.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الرابع والعشرون:

(ألا إن نصر الله قريب)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن نصرَ الله للمؤمنين حقيقة من حقائق الوجود، وسنة باقية من سنن الله، وقد يؤخَّر النصرُ لحكمة يريدها الله، فتظهر باديَ الرأي هزيمة، وقد يُهزم الحق في معركة، ويظهر الباطل في مرحلة، وكلّها في منطق القرآن صورٌ للنصر، تخفى حكمتها على البشر، والمؤمنون غير مطالبين بنتائج، إنما هم مطالبون بالسير على نهج القرآن وأوامره، والنصر بعد ذلك من أمر الله، يصنع به ما يشاء،{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّـهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)} [الأنفال:١٧].

قد يبطئ النصر لأن بناء الأمة لم ينضج ولم يشتد ساعده، ولأن البيئة لم تتهيأ لاستقباله، ويتأخر النصر لتزيد الأمة صلتَها بالله، وهي تعاني وتتألم وتبذل ولا تجد لها سنداً إلا الله. وقد يبطئ النصر لتتجرَّد الأمة في كفاحها وبذلها وتضحياتها لله ولدعوته. أما الباطل فمهما استعلى فهو طارئ وزاهق، ولا بد من هزيمته أمام الحق، قال تعالى:{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء:٨١]، ولكن حكمةَ الله اقتضت أن يوجد الباطل لاختبار أوليائه، وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَنًا، وإلا لو شاء الله لم يكن هناك كفر ولا باطل، قال تعالى:{ذلِكَ وَلَوْ يَشَاء الله لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} [محمد:٤].

معاشر الإخوة، قد يتوهم بعض المسلمين أن الله سينصرهم ما داموا مسلمين، مهما يكن حالهم، ومهما تكن حقيقة أعمالهم، والله تعالى يقول:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ الله يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد:٧]، ولم يقل: ما دُمتم مؤمنين فسأنصركم وأثبّت أقدامكم، مهما تكن أحوالكم وأوضاعكم وأعمالكم.فلقد هُزم المؤمنون وفيهم رسول الله في معركة أحد حين عصوا أمر الرسول، وهُزِم أغلبُهم يوم حنين وفيهم رسول الله حين أعجبتهم كثرتهم وقال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة، فكيف ينصر الله من لا ينصره لمجرد دعواه أنه مؤمن؟!

كيف ينصر الله من يعصيه ولا يقوم بواجبه؟! يقول عمر ﷺ: إنا لا ننتصر على عدوّنا بعددٍ ولا عدة، وإنما ننتصر بطاعتنا لله ومعصيتهم له، فإن عصينا الله فقد استوينا وإياهم في المعصية، وكان لهم الفضل علينا.عباد الله، لله تعالى سنن لا تتغيَّر يحكم بها الكون والحياة والإنسان، منها متطلبات النصر ومسببات الهزيمة، ذلك أن النصر شرف، ولن يتنزَّل على قلوب قاسية غافلة، ونفوس مريضة، في أمة تشعبت بها السبل، وتجارت بها الأهواء، وتعمقت في أخوتها الخلافات (٤٠).

أخي في الله، يا من تظن أن النصر قد تأخر اعلم أن النصر لا يأتي إلا بعد أشد أوقات المجاهدة. ألم تسمع لقول الله تعالى:{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [يوسف:١١٠] أي حتى إذا يئس الرسل من قومهم، وأيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ولا أمل في إيمانهم، جاءهم نصرنا عند شدة الكرب، فننجي من نشاء من الرسل وأتباعهم، ولا يُرَدُّ عذابنا عمَّن أجرم وتجرَّأ على الله (٥١).

* * *

على درب التوحيد (الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية <٣>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، قد يقع لهؤلاء الذين يَدْعُون الأولياء أو القبور أن تحصل لهم حاجاتهم التي طلبوها، لكن هذا لا يدل على صحة ما هم عليه، لأنهم قد يُعطون ما طلبوا من باب الفتنة، ومن باب الاستدراج، أو أنه يصادف ذلك قضاءً وقدراً من الله سبحانه وتعالى في إعطائهم هذا الشيء، فيظنون أنه بسبب القبور، وهو في الواقع بقضاء الله وقدره، فحصول المطلوب لا يدل على صحة الطلب، إنما الاحتجاج يكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا بالعادات، والتقاليد، والحكايات، والمنامات، والخرافات، أو أن فلاناً قد حصل له كذا، او فلانة ذهبت إلى القبر الفلاني فحملت، هذا ليس بدليل أبداً، لأن إعطاء الإنسان شيئاً

مما يحتاج إليه، لا يدل على صحة ما ذهب إليه، أو ما فعل من الشرك والعادات السيئة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قد يرون عند القبور أو يسمعون عند القبور من يكلمهم، أو يخرج عليهم من القبر ويقول: أنا فلان الذي تطلب، وأنا أقضي حاجتك. يتمثل لهم الشيطان، ليس هو الميت، وإنما هو الشيطان، يتمثل لهم بصورة الميت، ويخاطبهم، وقد يجلب لهم شيئاً مما يطلبون من بعيد، وهو شيطان يريد أن يضلهم، ويريد أن يهلكهم، وأن يغرر بهم.

أما عن الرؤيا فتكون على ثلاثة أقسام: حديث نفس، وأضغاث أحلام، ورؤيا شيطانية وعادة تحدث إذا كان الإنسان لم يقرأ آية الكرسي عند النوم، ولم يقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين عند النوم يأتيه بمزعجات فيرى أشياء يكرهها، والرؤيا الصحيحة، وهي التي تجري على يد المَلَك، وهي جزء من النبوّة، وهي من المبشرات، والمنامات والرؤى والحكايات هذه كلها لا تُبنى عليها الأحكام الشرعية، فهؤلاء الذين شرّعوا في أمور العقيدة، فبنوا الأضرحة على القبور، والرسول ينهى عن ذلك، وطافوا بها، وتقربوا إليها، كل هذا مناف للكتاب والسنّة، لأن الله سبحانه وتعالى لم يشرَع لنا هذه الشركيّات، وهذه البِدْعيّات المحدثات (٦).

* * *

مشاهد من يوم القيامة (الحطاب<٣>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

جاء في صحيح مسلم عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وعَنْ خَيْثَمَةَ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» (١).

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٠١٦.

عباد الله، بالرغم من ذلك فإن هناك أصنافًا من البشر لا يكلمها الله ولا ينظر إليها ولا يزكيها من الذنوب ولهم عذاب أليم كما هو في الأحاديث الصحيحة، فلقد أخرج البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ، فَيَقُولُ الله: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ» (١).

وأخرج البخاري أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ مرفوعًا: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِطَرِيقٍ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ سَاوَمَ رَجُلًا بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا كَذَا وَكَذَا فَأَخَذَهَا» (٢).

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ - أي لا يطهرهم من دنس ذنوبهم -، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ - أي المرخي إزاره الجار طرفه خيلاء -، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ» (٣).

وجاء في صحيح مسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ - أي فقير - مُسْتَكْبِرٌ» (٤).

وأخرج النسائي في سننه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ الله ﷻ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى» (٥).

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٢٤٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥٢٧.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٦.
(٤) (صحيح) أخرجه (م) ١٠٧.
(٥) (حسن صحيح) أخرجه (ن) ٢٥٦٢ وقال الألباني حسن صحيح.

* * *

حواري رسول الله ﷺ (الزبير بن العوام رضي الله عنه <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام رضي الله عنهم، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع السيرة العطرة لحواري رسول الله ﷺ فهيا بنا.

استشهاد الزبير رضي الله عنه ووصيته عند موته:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ - كانت موقعة الجمل العام السادس والثلاثين من الهجرة وكان طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم في فريق، وعليٌّ في الفريق الآخر، ويمكن معرفة تفاصيل هذه الوقعة بالرجوع للقاء الإيماني السادس عشر، وقتل طلحة والزبير بن العوام وبكي عليهم علي بن أبي طالب وأصحابه -، دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلاَّ ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أَرَانِي إِلاَّ سَأُقْتَلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ بِعْ مَالَنَا فَاقْضِ دَيْنِي، وَأَوْصَى بِالثُّلُثِ، وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ: يَعْنِي بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَقُولُ: ثُلُثُ الثُّلُثِ، فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا فَضْلٌ بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ، فَثُلُثُهُ لِوَلَدِكَ، قَالَ هِشَامٌ: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَازَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ: خُبَيْبٌ، وَعَبَّادٌ وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَاتٍ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَهِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: اللهَ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلاَّ قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ رضي الله عنه وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِلاَّ أَرَضِينَ مِنْهَا الْغَابَةُ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ، وَدَارًا بِمِصْرَ، قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ، فَيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ فَيَقُولُ الزُّبَيْرُ: لاَ وَلَكِنَّهُ سَلَفٌ، فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ، وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلاَ جِبَايَةَ خَرَاجٍ وَلاَ شَيْئًا إِلاَّ أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوَةٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ،

وَعُثْمَانَ رَضِيَ الله عَنْهُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنْ الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنْ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمَهُ - أي كتم أصل الدين حتى لا يستعظمه حكيم فينظر إليه بعين الاحتياج ولكنه لما استعظم القليل أخبره بالحقيقة- فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أُرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي، قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الْغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لاَ، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لاَ، قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ، فَأَوْفَاهُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالْمُنْذِرُ ابْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتْ الْغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ قَالَ: كَمْ بَقِيَ، قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، قَالَ: الْمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلاَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ - أي موسم الحج سمي بذلك لاجتماع الناس فيه فهو معلم مأخوذ من الوسم وهو العلامة -، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ، قَسَمَ بَيْنَهُمْ قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ [1].

ولم لا!! ولقد علَّم الزبير ابنه عبد الله رضي الله عنهما وصية غالية: يَا بُنَيَّ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٦١.

إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ، فهلا عملنا بوصية نبينا ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الخامس والعشرون:

(متطلبات النصر)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، هناك عدة متطلبات للنصر وهي:

المتطلب الأول: ترسيخ العقيدة وغرس الإيمان؛ لأن الإيمان الصادق - عباد الله - يزكي النفوس، ويطهر القلوب، فتصلح الحال، ويكتب الله النصر والتمكين للمؤمنين؛ قال تعالى:{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءامَنُواْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ} [غافر:٥١].

المتطلب الثاني: الإخلاص، فالمخلص مؤيَّد من الله، مَكفيّ به سبحانه:{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر:٣٦]، وعلى قدر إخلاص المرء لربه وتجرده له يكون مدد الله وعونه وكفايته وولايته، فإمدادُ الله بالنصر والتأييد والتوفيق والتسديد على حسب ما في القلوب من تجريد النية وصفاء الطوية، قال تعالى:{لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} [الفتح:١٨].

المتطلب الثالث: نصرةُ دين الله والقيام به قولاً وعملاً اعتقاداً ودعوة، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى:{وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصلاةَ وَآتَوُاْ الزكاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} [الحج:٤٠، ٤١].

المتطلب الرابع: التجمل بالصبر، هذا ما نستفيده من قول الرسول: ﷺ :«يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ فَإِنَّ اللهَ ﷻ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا» [1]، وفي ختام عدد من السور المكية أوصى الله رسوله بالصبر:{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} [يونس:١٠٩].

---

(١) (إسناده حسن) أخرجه (حم) ١٨٩٣٠ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده حسن.

المتطلب الخامس: الاعتماد على القَوي الذي لا يغلب، يفوض إليه أمره، يثق في وعده، فلا يخاف من أعداء الله، ذلك أن النصر من عند الله، والعزة كلها من الله، ومن أراد النصر فليطلبه من الله، ومن أراد العزة فليعتز بالله، ففي غزوة حنين رأى المؤمنون أنفسهم في كثرة فقال بعضهم: لن نُغلب اليوم من قلة، وكأنما ألهتهم كثرتهم عن حقيقة القوة والنصر، فوكلهم الله إلى كثرتهم التي أعجبتهم فلم تغنِ عنهم شيئاً،{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة:٢٥].

المتطلب السادس: الدعاء أهم أسلحة النصر، لما صنع نوح السفينة لجأ إلى الله، واحتمى بحماه، ولم يركن إلى الأسباب وحدها، توجَّه إلى الله بالدعاء، وسجل لنا القرآن الكريم صِيَغ الدعاء التي دعا بها نوح ربه، وكيف أن الله استجاب له على الفور:{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ- فَفَتَحْنَا أَبْوابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ} [القمر:١٠-١٤].

المتطلب السابع: إكرام ورعاية الضعفاء، والدليل ما جاء في صحيح البخاري عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: رَأَى سَعْدٌ ﷺ أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!» (١).

المتطلب الثامن: الثبات وكثرة ذكر الله، والاتحاد والاجتماع وعدم التنازع والاختلاف، قال تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال:٤٥].

المتطلب التاسع: إعداد القوة المادية والمعنوية من أسباب النصر، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال:٦٠] (٤٠).

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٧٣٩.

على درب التوحيد (الرد على الغلو في النبي ﷺ والأولياء)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماتـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله،أما بعد..

روى البخاري في صحيحه عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ الله؟» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَـهَ إِلاَّ الله. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ» فَأَنْزَلَ الله:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١١٣)} [التوبة:١١٣]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(٥٦)} [القصص:٥٦] (١).

إخوتي في الله، لقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نبيه محمَّد ﷺ أنه يملك الهداية لأحد، كما قال تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ (٢٧٢)} [البقرة:٢٧٢]، وقال سبحانه:{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (١٠٣)} [يونس:٢٣]، فإن قلت: أليس الله جل وعلا قال في الآية الأخرى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٥٢)} [الشورى:٥٢]، فأثبت في هذه الآية أن الرسول يهدي إلى صراط مستقيمٍ. أما الهداية التي يملكها الرسول ﷺ فهي هداية الإرشاد والدعوة والبيان ويملكها كل داعٍ يدعو إلى الخير، أما الهداية المنفية التي لا يملكها الرسول فهي: هداية القلوب، وإدخال الإيمان في القلوب، فهذه لا يملكها أحد إلاّ الله سبحانه وتعالى. فإذا كان رسول الله ﷺ لم يملك لعمه أبي طالب شيئاً، وأنه نُهي عن الاستغفار له، ففي حق غير النبي ﷺ من باب أولى، فدلّ ذلك على أنه ﷺ لا يُدعى من دون الله، ولا يُطلب منه شيء من الأمور التي لا يقدر عليها إلاّ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٤٩٤.

الله، فإذا كان هذا في حق النبي ﷺ، وهو أفضل الخلق، فغيره من باب أولى من الأولياء، والصالحين، وأصحاب الأضرحة، مهما بلغوا من الصلاح، ومهما بلغوا من المكانة في الدين، فإنهم لا يُطلب منهم إلاّ ما يقدرون عليه من أمور الدنيا، إذا كانوا على قيد الحياة، أما أمور الهداية، وأمور قضاء الحاجات التي لا يقدر عليها إلاّ الله من شفاء المرضى، وإنزال المطر، وجلب الأرزاق، وإعطاء الأولاد، هذا كله لا يُطلب إلاّ من الله ﷻ ولا يطلب من غير الله، لا من نبي، ولا من ولي، ولا من أي مخلوق، ومن طلبه من غير الله فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملّة (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (الحطاب<٤>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة

عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ: صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ» (١).

وروى الترمذي في سننه والحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي الْعَبْدَ مِنْ النَّعِيمِ، أَنْ يُقَالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحَّ لَكَ جِسْمَكَ؟» (٢).

وجاء في سنن النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِنْ مَسْعُود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (ت ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٢٠٢٠.
(٢) (صحيح) أخرجه(ت ك) وصححه الألباني ص.ج ٢٠٢٢.

: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّلَاةُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ» (١).

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّى يُدْنِيَهُ مِنْ الْعَرْشِ». قَالَ: فَذَكَرُوا لِابْنِ عَبَّاسٍ التَّوْبَةَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ} (٢).

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عن أسامة بن زيد ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنْ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (٣).

* * *

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص ﷺ <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع أول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ﷺ، واسمه مالك بن وهيب بن عبد مناف وأمه حمنة. أسلم قديما وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان سابع سبعة في الإسلام، وأحد الفرسان الشجعان، وأحد من كان يحرس النبي ﷺ في مغازيه، شهد سعد بدراً والحديبية والمشاهد كلها، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أهل الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض، وهو الذي كوف الكوفة، ونفى الأعاجم، وتولى قتال فارس، وكان على يديه فتح القادسية وغيرها، وولاه عمر الكوفة (٢٨).

---

(١) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص.ج ٢٥٧٢.
(٢) (صحيح) أخرجه (ت ن هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٣١.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٩٤ و(م) ٢٩٨٩ واللفظ للبخاري .

إسلامه ﷺ:

جاء في صحيح مسلم عن سَعْدٍ ﷺ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ قَالَتْ : زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا قَالَ مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنْ الْجَهْدِ فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [العنكبوت: ٨]...[1].

الرسول ﷺ يعود سعدا ﷺ ويدعو له بأن يتم الله عليه هجرته:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ - أي أشرفت من الوجع منه - عَلَى الْمَوْتِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلَغَ بِي مِنْ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلاَ يَرِثُنِي إِلاَّ ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ! إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهَ إِلَّا آجَرَكَ اللهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهَ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ تُخَلَّفُ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ - أي تممها لهم ولا تنقصها عليهم حتى يحوزوا أجرها كاملاً موفورا -، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»،[2].

وهذا الحديث من دلائل النبوة قال أهل العلم: والله لقد انتفع بسعد بن أبي وقاص ﷺ الملايين،فنحن الآن منتفعون بـ سعد، فإنه فتح لنا جبهة في الشمال ودمر دولة عاتية كادت تأخذ الجزيرة العربية ضحى، وتضررت به فارس عباد النار حيث سحقهم سحقاً، فهذا من التضرر(٥٦).

نزلت آيات من القرآن في سعد ﷺ:

روى مسلم في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتٌ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٤٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٢١ ، و(م) ١٦٢٨ واللفظ للبخاري .

مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ: حَلَفَتْ أُمُّ سَعْدٍ أَنْ لاَ تُكَلِّمَهُ أَبَدًا حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلاَ تَأْكُلَ وَلاَ تَشْرَبَ قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللهَ وَصَّاكَ بِوَالِدَيْكَ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا قَالَ: مَكَثَتْ ثَلاَثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهَا مِنْ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةُ فَسَقَاهَا فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ(١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} [لقمان ١٤،١٥]، قَالَ: وَأَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَنِيمَةً عَظِيمَةً فَإِذَا فِيهَا سَيْفٌ فَأَخَذْتُهُ فَأَتَيْتُ بِهِ الرَّسُولَ ﷺ فَقُلْتُ: نَفِّلْنِي هَذَا السَّيْفَ فَأَنَا مَنْ قَدْ عَلِمْتَ حَالَهُ فَقَالَ: رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُلْقِيَهُ فِي الْقَبَضِ لاَمَتْنِي نَفْسِي فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: أَعْطِنِيهِ قَالَ: فَشَدَّ لِي صَوْتَهُ رُدُّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ} [الأنفال ١].قَالَ: وَمَرِضْتُ فَأَرْسَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَتَانِي فَقُلْتُ: دَعْنِي أَقْسِمْ مَالِي حَيْثُ شِئْتُ قَالَ: فَأَبَى قُلْتُ فَالنِّصْفَ قَالَ: فَأَبَى قُلْتُ: فَالثُّلُثَ قَالَ: فَسَكَتَ فَكَانَ بَعْدُ الثُّلُثُ جَائِزًا قَالَ: وَأَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنْ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ فَقَالُوا: تَعَالَ نُطْعِمْكَ وَنَسْقِكَ خَمْرًا وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُحَرَّمَ الْخَمْرُ قَالَ: فَأَتَيْتُهُمْ فِي حَشٍّ، وَالْحَشُّ الْبُسْتَانُ، فَإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْوِيٍّ عِنْدَهُمْ وَزِقٌّ مِنْ خَمْرٍ قَالَ:فَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ مَعَهُمْ قَالَ: فَذَكَرْتُ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عِنْدَهُمْ فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنْ الأَنْصَارِ قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيَيْ الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ فَجَرَحَ بِأَنْفِي فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ يَعْنِي نَفْسَهُ شَأْنَ الْخَمْرِ {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠] (١).

إكرام النبي عليه السلام لفقراء المسلمين:

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ اطْرُدْ هَؤُلاَءِ لاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا قَالَ: وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلاَلٌ وَرَجُلاَنِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ {وَلَا تَطْرُدْ الَّذِينَ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٤٨.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام:٥٢] [(١)].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤١٣.

obeikandl.com

اللقاء الإيماني السادس والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إذا نظرنا في تاريخ المسلمين في أحوال الشدة التي كانت مسلَّطة عليهم من قبل التتر، الذين اجتاحوا العالم الإسلامي وقتلوا الملايين من المسلمين، ولما اجتمعت العساكر الإسلامية في الديار المصرية؛ ألقى الله تعالى في قلب الملك المظفر قطز الخروج لقتالهم بعد أن كانت القلوب قد أيست من الانتصار على التتار؛ لكثرة عددهم، واستيلائهم على معظم بلاد المسلمين، في فترة من الفترات كانت تحت حكم التتر الذين اجتاحوا أكثر العالم الإسلامي، وما قصدوا إقليماً إلا فتحوه، ولا عسكراً إلا هزموه، لم يبق خارجاً عن حكمهم في الجانب الشرقي من العالم الإسلامي إلا الديار المصرية و الحجاز و اليمن، وهربت جماعة من المغاربة الذين كانوا بمصر إلى المغرب وهرب جماعة من الناس إلى اليمن، والباقون في خوفٍ شديد، يتوقعون دخول العدو البلاد.

وصمم الملك المظفر رحمه الله تعالى على لقاء التتر، وخرج بالجحافل الشامية والمصرية وسافر إلى بلاد الشام للقائهم، ونزل بـ الغور بـ عين جالوت وفيه جموع التتر في يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان.

اصطف الفريقان، والتحم الجيشان، وتقاتلا قتالاً شديداً لم ير مثله، حتى قتل من الطائفتين جماعة كثيرة، وانكسرت ميسرة المسلمين كسرة شنيعة - كما يقول صاحب (النجوم الزاهرة) في وصف المعركة- فحمل الملك المظفر رحمه الله بنفسه في طائفة من عساكره، وأردف الميسرة حتى تحايوا ورجعوا، واقتحم المظفر القتال وباشره بنفسه، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً حسناً، وعظمت الحرب وثبت كلٌ من الفريقين مع كثرة التتر، و المظفر يشجع أصحابه، ويحسن إليهم الموت، ويكرُّ بهم كرة بعد كرة، حتى نصر الله الإسلام وأعزه، وانكسرت التتر، وولوا الأدبار على أقبح وجهٍ بعد أن قتل معظم أعيانهم، وقتل شر قتلة قائدهم كتبغا فإنه لما عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه الله، وكان الذي

حمل عليه وقتله الأمير جمال الدين آقوش الشمسي رحمه الله. وولى التتار الأدبار لا يلوون على شيء، واعتصمت طائفة منهم في التلّ المجاور لمكان الوقعة، فأحدقت بهم عساكر المسلمين، وصابروهم حتى أفنوهم قتلاً، ونجا من نجا، وتبعهم الأمير ركن الدين بيبرس البندقاري في جماعة من الشجعان المسلمين إلى أطراف البلاد، واسترجعوا البلاد والضياع التي أخذها التتر، وقتل منهم مقتلة عظيمة جداً (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (سبب كفر بني آدم الغلو في الصالحين)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، الغلو في الصالحين، هو: الزيادة في مدحهم، ورفعهم فوق مكانتهم؛ بأن يُجعل لهم شيءٌ من العبادة.

قال الله ﷻ:{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ} [النساء: ١٧١]، فكذلك الذين غَالَوْا في الصالحين من هذه الأمة حتىَ عبدوهم مع الله سبحانه وتعالى، وجعلوا لهم شيئاً من الرّبوبيّة والألوهيّة، سواءً بسواء.

فقوم نوح لما نهاهم نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام عن الشرك وأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له؛ تواصوا فيما بينهم بهذه الوصية الكافرة{وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلا سُوَاعاً وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً(٢٣)} [نوح: ٢٣]، أي لا تطيعوا نوحاً عليه السلام، ولا تتركوا آلهتكم التي تعبدونها من دون الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا على دين التّوحيد دين أبيهم آدم عليه الصلاة والسلام عشرة قرون، وكان هؤلاء الصالحون في هذا العهد عهد التّوحيد، فلما ماتوا ويُروى: أنهم ماتوا في سنة واحدة حزنوا عليهم حزناً شديداً، وبكوا عليهم، فاستغل الشيطان لعنه الله هذه العاطفة فيهم، وأشار عليهم بمشورة ظاهرها النصح، وباطنها الخديعة والمكر، أشار عليهم بأن يصوّروا تماثيلهم، يعني: يجعلوا لهم صوراً على شكل تماثيل، كل واحد له صورة، وأن ينصبوا إلى

مجالسهم - أي يضعوا هذه الصور في مجالسهم-؛ من أجل أن ينشطوا على العبادة، إذا رأوهم تذكّروا حالتهم فنشطوا على العبادة، فهو جاءهم من باب النصح، وأشار عليهم بمشورة ظاهرها الخير، وأن هذه وسيلة للنشاط على العبادة، والتقوى، والصلاح، والاقتداء بهؤلاء، إذا رأوا صورهم تذكّروا صلاحهم وحالتهم فاقتدوا بهم، فقبلوا هذه المشورة لأن ظاهرها أنها خير، وابتدعوا هذه البدعة.

ولم تُعبد في هذا الجيل، لأنهم على علم وعلى دين، حتى إذا هلك أولئك، ونُسي العلم يعني: بموت العلماء الذي يحذّرون من الشرك، عُبدت هذه الصور لأن الشيطان قال لهم: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلاّ من أجل أن يتقرّبوا إليها، ويسقون بها المطر، فصدّقوه في هذا.

ومقالته لهذا الجيل المتأخّر تخالف مقالته للجيل السابق، هذا من باب المكر، فصدّقوه في هذا فعبدوهم، ومن حينها حدث الشرك في الأرض، وغُيِّر دين آدم عليه الصلاة والسلام. فبعث الله نبيّه نوحاً عليه السلام أول الرّسل وهذا أول شرك حدث في الأرض، وسببه هو الغلو في الصالحين.

وفي ذلك الردٌّ على عبّاد القبور اليوم، الذين يقولون: البناء على القبور من باب المحبة للصالحين، وكوننا نستغيث بهم، ونستشفع بهم، ونذبح لهم، وننذر لهم، ونتبرّك بتربتهم، هذا ليس من الشرك، هذا من باب محبة الصالحين، ويقولون للذين ينكرون: أنتم تبغضون الصالحين، هكذا فسروا المحبة والبُغض، كما أن حسن النية لا يسوغ العمل غير المشروع، لأن قوم نوح نيّتهم حسنة، لكن هذه البدعة أفضت إلى الشرك على المدى البعيد.

لذلك ينبغي الحذر من الغلو في قبور الصالحين، وذلك بالعكوف عندها، أو البناء عليها، أو غير ذلك من أي مظاهر الغلو، والنبي ﷺ حذّر من البناء على القبور، والصلاة عند القبور، والدعاء عند القبور لأن ذلك وسيلة إلى الشرك، ولذلك أوصى النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ قال: «لَا تَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا - أي هدمت البناء الذي عليه- إِلَّا سَوَّيْتَهُ وَلَا تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ» [1].

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٥/١.

وكذلك نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَنْ تُجَصَّصِ الْقُبُور»[1]، وذلك بطلائها بالجص، أو بالبويات، أو الألوان المزخرفة.

والمشروع في القبور أن تُدفن كما كان على عهد النبي ﷺ تُدفن بترابها، وتُرفع عن الأرض قدر شبر بالتراب من أجل أن تُعرف أنها قبور فلا تُداس، وما زاد عن ذلك فهو ممنوع (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة(الحطاب<٥>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ- أي بدون قرون- مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[2].

عباد الله، في هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة، وأما القصاص من القرناء والجلحاء فليس من قصاص المقابلة ولا التكليف.

وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [3].

وقال تعالى:{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)} [النور: ٢٤]، ففي يوم القيامة تشهد على العصاة ألسنتهم بما نطقت، وتتكلم أيديهم

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ١٧٠٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٨٢.
(٣) (صحيح) أخرجه (م ت) وصححه الألباني في صت ٢٨٤٣.

وأرجلهم بما عملت، فلقد جاء في صحيح مسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قَالُوا: لاَ، قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قَالَ: «فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ -أي فلان - أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ- أي أجعلك سيدا على غيرك- وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ - أي ألم أجعلك رئيسا مطاعا-، فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ، فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي - أي أمنعك الرحمة كما امتنعت من طاعتي -، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا - أي قف ههنا حتى يشهد عليك جوارحك إذ قد صرت منكرا - قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ انْطِقِي فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ- أي ليزيل الله عذره من قبل نفسه بكثرة ذنوبه وشهادة أعضائه عليه بحيث لم يبق له عذر يتمسك به- مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»[1].

* * *

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص ﷺ <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا نتناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ﷺ، فهيا بنا.

---

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٩٦٨.

حراسته ﷺ لرسول الله:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَهِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقْدَمَهُ الْمَدِينَةَ لَيْلَةً فَقَالَ: لَيْتَ رَجُلاً صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيْلَةَ، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ سَمِعْنَا خَشْخَشَةَ سِلاَحٍ فَقَالَ: «مَنْ هَـذَا؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟» قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي خَوْفٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجِئْتُ أَحْرُسُهُ فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ(١).

جهاد سعد بن أبي وقاص ﵁:

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﵁ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لأَوَّلُ رَجُلٍ مِنْ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ إِلاَّ وَرَقُ الْحُبْلَةِ وَهَذَا السَّمُرُ حَتَّى إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُو أَسَدٍ - أي بنو الزبير بن العوام - تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ - أي توقفني على الأحكام والفرائض- لَقَدْ خِبْتُ إِذًا وَضَلَّ عَمَلِي (٢).

١ – سرية عبيدة بن الحارث:

جاء في (السيرة النبوية) لفضيلة الدكتور علي الصلابي : كانت سرية عبيدة بن الحارث ﵁ أول سرية في تاريخ السرايا يلتقي فيه المسلمون مع المشركين في مواجهة عسكرية وقد اتخذ القتال بين الطرفين طابع المناوشة بالسهام وكان سعد بن أبي وقاص ﵁ أول العرب رمى بسهم في سبيل الله في تلك المعركة التي لم تستمر طويلاً إذ قرر الفريقان الانسحاب من أرضها وقد كان انسحاب المسلمين قوياً ومنظماً وكان بطل هذا الانسحاب سعد بن أبي وقاص ﵁، فقد كان له الدور الأكبر في تثبيت وإحباط استعدادات العدو لشن أي هجوم مضاد وذلك بوابل من السهام المزعجة التي قذفها نحوه والتي كونت ساتراً دفاعياً مهد لانسحاب سليم منظم بالنسبة للمسلمين، وقد فر عتبة بن غزوان، والمقداد بن الأسود رضي الله عنهما يومئذ إلى المسلمين وكانا قد أسلما قبل ذلك، وفي هذه السرية حقق سعد بن أبي وقاص ﵁ سبقاً عسكرياً إسلامياً، يسجل في سجله الحافل بالأعمال العظيمة لنصرة دين الله تعالى(٢٦).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٨٠٤، و(م) ٢٤١٠ واللفظ لمسلم.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٠٨٨ و(م) ٢٩٦٦.

٢- سرية الخرار:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري : في ذي العقدة السنة الأولى من الهجرة بعث لها رسول الله ﷺ سعدًا ﷺ في عشرين رجلا يعترضون عيراً لقريش، وعهد إليه ألا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار، ويسيرون بالليل، حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس، فوجدوا العير قد مرت بالأمس وكان لواء سعد ﷺ أبيض، وحمله المقداد بن عمرو (١٩).

٣- غزوة بواط:

جاء في (الرحيق المختوم) لفضيلة الشيخ صفي الرحمن المباركفوري : في شهر ربيع الأول السنة الثانية من الهجرة، خرج فيها رسول الله ﷺ في مائتين من أصحابه، يعترض عيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمئة بعير، فبلغ بواطا من ناحية رضوى ولم يلق كيدا، واستخلف في هذه الغزوة على المدينة سعد بن معاذ، واللواء كان أبيض، وحامله سعد بن أبي وقاص ﷺ (١٩).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

اللقاء الإيماني السابع والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن للعلماء وللدعاة وللخطباء وللمربين دورًا كبيرًا في رفع المعنويات، والدليل على ذلك أنه لما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام:{إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة:٢٤]، قال رجلان من الذين يخشون الله تعالى أنعم الله عليهما بطاعته وطاعة نبيِّه لبني إسرائيل{ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٣)} [المائدة:٢٣]، فهذا دورٌ عظيم يقوم به العلماء.

ولقد كان أبو عمر البزار يقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: كان من أشجع الناس وأقواهم قلباً، فلقد كان أثبت الناس جأشاً، يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم.

وحدثوا أنهم رأوا منه في فتح عكا أموراً من الشجاعة يعجز الواصفون عن وصفها، ولقد كان السبب في تملك المسلمين عكا بفعله ومشورته وحسن نظره كما ذكر في (الأعلام العلية) وقال: لما ظهر السلطان غازان على دمشق جاءه ملك الكرج وهو ملك كافر معه كفار يطلب من غازان أن يملكه من رقاب المسلمين ليفتك بهم، ووصل الخبر إلى الشيخ؛ فقام من فوره، وشجع المسلمين، ورغبهم في الشهادة، ووعدهم على قيامهم بالنصر والظفر والأمن وزوال الخوف، وانتدب منهم رجالاً من كبرائهم فخرجوا إلى غازان، فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ قيل: إنهم رؤساء دمشق.

فأذن لهم، وحضروا بين يديه، ثم تقدم الشيخ أولاً، فلما أن رآه السلطان أوقع الله له في قلبه هيبة عظيمة، حتى أدناه من مجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام أولاً في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، يريد ألا يوافق على هذا، وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكره ووعظه، فأجابه إلى ذلك طائعاً، وحقنت بسببه دماء المسلمين، وصين حريمهم (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (التغليظ فيمن دعا الله عند قبر رجل صالح)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، هناك بعض الناس يعبدون الله عند قبر رجل صالح، وذلك بدعاء الله عند القبر رجاء الإجابة، يظنون أن الدعاء في هذا المكان سبب للإجابة، وإن كان الفاعل فعلها عند القبر رجاء أن تُقبل، وأن العبادة عند القبر لها مزية عن العبادة في مكان آخر، فهذا مبني على ظن فاسد، لأن القبور ليست مكاناً للعبادة، وأن العبادة عندها وإن كانت خالصة لله فإنها سبب للشرك، ولهذا حذّر النبي ﷺ من العبادة عند القبور سدًّا للذريعة، أما إذا كان يدعو القبر، ويستغيث بالميت؛ فهذا شرك أكبر.

والذي عليه القبوريون اليوم، أنهم يعبدون القبور صراحة؛ ويستغيثون بها، ويذبحون لها، وينادون الموتى: المدد يا فلان، المدد يا بدوي..، يطلبون منهم المدد صراحة، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويصرفون لهم أنواعاً من العبادة.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنْ الصُّوَرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمْ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»[1].

وأخرج مسلم في صحيحه عن جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ»[2].

لذا يجب على الدعاة قبل أن يحثوا النّاس على الصلاة والصيام، وترك

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤١٧ و(م) ٥٢٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٥٣٢.

الربا، وترك الزنا، وترك شرب الخمر، قبل ذلك ينهوهم عن الشرك، لاسيّما إذا كان واقعاً في الأمة، لأنه إذا صلحت العقيدة صلحت بقية الأعمال، أما إذا فسدت العقيدة، فإن أعماله تكون هباءً منثوراً، لا فائدة منها (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (الحساب<٦>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَصَمُّ لاَ يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرِمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ فَأَمَّا الأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الأَحْمَقُ فَيَقُولُ رَبِّ لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ فَيَقُولُ رَبِّي لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ رَبِّ مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ قَالَ فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلاَمًا وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا» (١).

فهؤلاء قد عذرهم الله تعالى، فأما الأصم الذي لا يسمع ومن مات في الفترة فعذرهما لعدم وصول الحجة إليهم، وأما الأحمق والهرم فعذرهما لعدم فهمهما، مما يدل على اشتراط البلوغ والفهم لقيام الحجة.

فهذا هو حال من مات ولما تبلغه دعوة الإسلام، يختبر في الآخرة، كما اختبر غيره في الدنيا، فمن امتثل وأطاع كان من أهل الجنة، ومن أبى وعصى كان من أهل النار، جزاء وفاقاً، وليس أمام الإنسان عند تأمل هذا الحكم الإلهي إلا أن يسلم بعظيم حكمته سبحانه، ويقرَّ بكمال عدله، فلم يظلم سبحانه هؤلاء فيدخلهم النار، لكونهم معذورين بعدم قيام الحجة عليهم، ولم يدخلهم الجنة لكون الجنة لا تدخلها إلا نفس مؤمنة، فجعل سبحانه الآخرة في حقهم دار ابتلاء، لينجو من يطيعه، ويهلك من يعصيه.

(١)(صحيح) أخرجه (حم حب) وصححه الألباني في ص. ج ٨٨١

وأخرج الشيخان في صحيحيهما والترمذي في سننه و الإمام أحمد في مسنده عن أنس ﷺ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ»[1].

نسأل المولى عز وجل أن يحيينا على الإسلام وأن يميتنا على الإسلام، حتى نلقاه وهو راضٍ عنا، والحمد لله رب العالمين.

* * *

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص ﷺ <٣>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا نتناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ﷺ، فهيا بنا.

معركة القادسية وفتح المدائن:

جاء في (البداية والنهاية) للحافظ بن كثير رحمه الله : لما تواجه الجيشان- جيش المسلمين وجيش الفرس- بعث رستم- قائد الفرس- إلى سعد بن أبي وقاص - قائد جيش المسلمين- أن يبعث إليه برجل عاقل عالم بما أسأله عنه، فبعث إليه المغيرة بن شعبة رضى الله عنه...، ثم بعث إليه سعد رسولا آخر بطلبه وهو ربعي بن عامر فدخل عليه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير، وأظهر اليواقيت واللآلىء الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك فقال: إنى لم آتكم

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٩٤٩ ، و(م) ٢٨٤٨ واللفظ لمسلم .

وإنما جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت فقال رستم: ائذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم اليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظروا؟ قال: نعم كم أحب إليكم يوما أو يومين؟ قال: لا بل حتى نكاتب أهل رأينا رؤساء قومنا فقال: ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث فانظر في أمرك وأمرهم واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل فقال: أسيدهم أنت؟ قال: لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم، فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال: هل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، تدع دينك لذا الكلب، أما ترى إلى ثيابه فقال: ويلكم لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة إن العرب يستخفون بالثياب والمأكل ويصونون الأحساب - وهل مع هذا آمن؟ لا بل خاف على ملكه كما خاف هرقل على ملكه من قبل -، وذكر الحافظ بن كثير أن سعدا كان به عرق النسا يومئذ- أي يوم القادسية- وأنه خطب الناس وتلا قوله تعالى{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء:١٠٥]، وصلى بالناس الظهر ثم كبر أربعا وحملوا بعد أن أمرهم أن يقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله في طردهم إياهم وقتلهم إياهم وقعودهم لهم كل مرصد وحصرهم لبعضهم في بعض الأماكن (٨).

وجاء في (تاريخ الرسل والملوك) للإمام الطبري : استخلف خالد بن عرفطة على الناس فاختلف عليه الناس، فقال: احملوني وأشرفوا بي على الناس، فارتقوا به فأكب مطلعا عليهم.. يأمر خالدا فيأمر خالد الناس، وكان ممن شغب عليه وجوه من وجوه الناس فَهَمَّ بهم سعد وشتمهم، وقال: أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم، فحبسهم ومنهم أبو محجن الثقفي وقيدهم في القصر، وقال جرير: إن أبا محجن الثقفي قال: أما إني بايعت رسول

الله ﷻ على أن أسمع وأطيع لمن ولاه الله الأمر وإن كان عبدا حبشيا، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقيله فزبره ورده، فنزل فأتى سلمى بنت خصفة - أي زوجة سعد- فقال: يا سلمى يا بنت آل خصفة هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك قال: تخلين عني وتعيرينني البلقاء فلله علي إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي، فقالت: وما أنا وذاك فرجع يرسف في قيوده.. فقالت سلمى: إني استخرت الله ورضيت بعهدك فأطلقته وقالت: أما الفرس فلا أعيرها ورجعت إلى بيتها، فاقتادها فأخرجها من باب القصر الذي يلي الخندق فركبها ثم دب عليها، حتى إذا كان بحيال الميمنة كبر ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين... وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس مكب من فوق القصر: والله ولا محبس - أي لولا محبس - أبي محجن لقلت: هذا أبو محجن وهذه البلقاء، فلما انتصف الليل حاجز أهل فارس، وتراجع المسلمون وأقبل أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته، وأعاد رجليه في قيديه... وجاءت سلمى وأخبرت سعدا خبرها، وخبر أبي محجن فدعا به فأطلقه وقال: اذهب فما أنا مؤاخذك بشئ تقوله حتى تفعله قال: لا جرم والله لا أجيب لساني إلى صفة قبيح أبدا.

ثم تقدم الجيش المنتصر بقيادة سعد بن أبي وقاص حتى وصل الجيش إلى بهرسير، ولما نزل سعد بهرسير وهي المدينة الدنيا التى تسبق مدينة المدائن التي فيها قصر كسرى- طلب السفن ليعبر بالناس إلى المدينة القصوى - أي المدائن التى فيها قصر كسرى- فلم يقدر على شيء ووجدهم - أي الفرس- قد ضموا السفن، فأقاموا ببهرسير أياما من صفر يريدونه على العبور فيمنعه الإبقاء على المسلمين حتى أتاه أعلاج - أي نفر من المجوس- فدلوه على مخاضة تخاض إلى صلب الوادي، فأبى وتردد عن ذلك- أي تردد على عبورها فرأى- أي سعد- رؤيا أن خيول المسلمين اقتحمتها فعبرت، وقد أقبلت من المد بأمر عظيم فعزم لتأويل رؤياه على العبور..فجمع سعد الناس وحثهم على عبور هذا النهر، ففجأوا أهل فارس بأمر لم يكن في حسابهم، وكان الذي يساير سعدا في الماء سلمان الفارسي فعامت بهم الخيل وسعد يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغى أو ذنوب تغلب الحسنات، فقال له سلمان: الإسلام جديد ذللت لهم

والله البحور كما ذلل لهم البر أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا، فطبقوا الماء حتى ما يرى الماء من الشاطئ، ولهم فيه أكثر حديثا منهم في البر لو كانوا فيه، فخرجوا منه كما قال سلمان: لم يفقدوا شيئا ولم يغرق منهم أحد (١٢).

ولما عبر المسلمون يوم المدائن دجلة - نظر جنود الفرس - إليهم يعبرون جعلوا يقولون بالفارسية ديوان آمد، وقال بعضهم لبعض: والله ما تقاتلون الإنس وما تقاتلون إلا الجن فانهزموا، ولما دخل سعد المدائن، وانتهى إلى إيوان كسرى، أقبل يقرأ: {كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ(٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ (٢٨)} [الدخان: ٢٥-٢٨] (١٢).

الإخوة الفضلاء، من هذه القصة الرائعة يتبين لنا أن السعادة الحقيقية والحياة الطيبة وكذا بقاء الأمم في أمان وسلام ورخاء يرجع إلى الإيمان بالله والتمسك بكتابه وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى: {فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى١٢٤)} [طه:١٢٣-١٢٤].

فهلا عدنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فَيَلزِمُ ولاة الأمور في بلاد المسلمين أنفسهم بذلك فيحكمون بشرع الله تعالى، ثم نبدأ بتطبيق السنة النبوية كما فعل الخلفاء الراشدون وبقية الصحابة وكما سار عليه سلفنا الصالح، فيعفي الرجال اللحى وتتحجب النساء ويمنع الاختلاط وتقام صلاة الجماعة في المساجد وتمنع المنكرات من الأسواق والبيوت والمجتمعات، ويمنع كل ما هو مخالف للشرع وللسنة فلا بنوك ربوية ولا صور نساء ولا مجلات خليعة ولا معازف ولا رقص ولا أعياد وطنية ولا قومية حتى المسابقات الرياضية تكون موافقة للسنة، وتكون في الجري وفي السباحة أو الرماية أو ركوب الخيل وغيرها من الرياضات المفيدة، ولا يكون الهدف منها إلا تربية الشباب التربية الإيمانية الرشيدة التي تهيئهم للجهاد في المستقبل، إذا ما أصبحنا قادرين على الجهاد ومواجهة الأعداء.

وهكذا نربي أنفسنا رويداً رويداً داخل مجتمعاتنا، ولا نسمح للمنافقين وأشياعهم، أو لدعاة الحزبية وأهل البدع بممارسة أي دور مؤثر على شبابنا

داخل البلاد الإسلامية حتى لا يفسدوا الأمة ويبعدوها عن الصراط المستقيم، فهل في هذا صعوبة على من تولى أمر المسلمين؟ (٦٢).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثامن والعشرون:

(من ذاكرة التاريخ لرفع المعنويات <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن ثبات الدعاة والعلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية له أثر بالغ في رفع المعنويات وحصول النصر بإذن الله ﷻ، فلقد كان الشيخ تقي الدين رحمه الله يحلف للأمراء والناس: إنكم في هذه الكرة منصورون، فيقول له الأمراء: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يتأول في ذلك أشياء من كتاب الله ﷻ مثل قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ الله} [الحج:٦٠] وهكذا كان يدور على الجيش ويفتيهم، وكانت المعركة في رمضان فيفتي بالفطر مدة قتالهم، ويأكل هو بنفسه أمام الناس أشياء ويقول: أفطروا فالفطر أقوى لكم، ويستدل لهم بحديث النبي ﷺ.

وعندما وردت الأخبار بقصد التتر بلاد الشام، وأنهم عازمون على دخول مصر أيضاً، انزعج الناس، وازدادوا ضعفاً على ضعفهم، وطاشت عقولهم وألبابهم، وشرع الناس في الهرب إلى بلاد مصر و الكرج و الشوبك والحصون المنيعة، حتى بلغ ثمن الحمار الذي يوصل إلى مصر خمسمائة دينار، وبيع الجمل بألف دينار، وبيعت الأمتعة والثياب بأرخص الأثمان، لأن الناس تبيع متاعها وتهرب من البلد.أما الشيخ تقي الدين ابن تيمية فقد جلس بمجلسه في الجامع وحرض الناس على القتال، وساق لهم الآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ونهى عن الإسراع في الفرار، ورغب في إنفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم، وأن ما ينفق في أجرة الهرب إذا أنفق في سبيل الله كان خيراً، وأوجب جهاد التتر حتماً، وتابع المجالس في ذلك، كما ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله تعالى في البداية والنهاية (٤٧).

* * *

على درب التوحيد(ما جاء في الغلو في قبور الصالحين)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ

به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، الغلو في قبور الصالحين يكون بالزيادة في تعظيمها، لأن ذلك يؤدي إلى الشرك، والمشروع في قبور الصالحين وقبور المسلمين عموماً احترامها، وعدم إهانتها، وصيانتها عن الأذى، وزيارتها للسلام على الأموات، والدعاء لهم، والاعتبار بأحوالهم، هذا هو المشروع، أما الغلو فهو قصدها للتبرّك، أو الدعاء عندها، أو الصلاة عندها رجاء الإجابة. هذا هو الغلو، لأن هذا لم يشرعه الله ولا رسوله، ولأنه وسيلة إلى الشرك يجعلها في المستقبل وعلى امتداد الزمان أوثاناً تعبد من دون الله، ولقد أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُصَلُّوا إِلَى الْقُبُورِ وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا» (١).

وروى الإمام مالك في الموطأ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللهمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» (٢).

فالنبي ﷺ لم يدفن في المسجد، وإنما دفن في بيته خارج المسجد، وإنما أدخل البيت في المسجد بعد عهد الخلفاء الراشدين في وقت الوليد بن عبد الملك؛ لما أراد أن يوسع المسجد عمّم التوسعة من جهة المشرق، فأدخل حجرة النبي ﷺ، ولم يكن هذا بمشورة أهل العلم، وإنما هذا عمل الخليفة بدون مشورة أهل العلم، ولكن مع هذا فالبيت لا يزال على شكله وحيازته، والمشروع: السلام عليه من غير مكوث عنده وطول قيام ولا تكرر زيارة كما كان الصحابة يفعلون ذلك: فقد كان ابن عمر يقف- إذا جاء من سفر- مقابل وجه النبي ﷺ فيقول: السلام عليك يا رسول الله، ثمّ يتأخر إلى جهة الشرق قليلاً فيقول: السلام عليك يا أبا بكر، ثمّ يتأخر قليلاً فيقول: السلام عليك يا أبت، ثمّ ينصرف، وهكذا كان عمل المسلمين عند السلام على الرسول ﷺ وعلى صاحبيه ﷺ، وإنما

(١) (صحيح) أخرجه (م)٩٧٢.
(٢) (صحيح مرسلا) أخرجه (مالك) وصححه الألباني في مش ٧٥٠

تدخل زيارة قبره رسول الله ﷺ في عموم قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :«زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الآخرة»(١).

وروى الترمذي وابن ماجة في سننهما والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :«لَعَنَ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ»(٢).

وقال فضيلة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى عن بعض أهل العلم: إن هذا كان قبل أن يرخص النبي في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء.

وقال بعضهم: إنما كره زيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن.

وقال فضيلة الدكتور صالح الفوزان: القول الصحيح الراجح هو: منع النساء من زيارة القبور (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (الصراط<١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقي، يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق على متن جهنم، ويكون مرور الناس على حسب أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمرُّ دون ذلك ومنهم من يمرُّ حبوًا ومنهم من يسقط في متن جهنم.

قال تعالى: {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الحديد:١٢].

أي يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم وعن أيمانهم، بقدر أعمالهم، ويقال لهم: بشراكم اليوم دخول جنات واسعة

(١) (صحيح) أخرجه (هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٣٥٧٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه (ت هـ حم) وصححه الألباني في ص.ج ٥١٠٩.

تجري من تحت أشجارها الأنهار، لا تخرجون منها أبدًا، ذلك الجزاء هو الفوز العظيم لكم في الآخرة.

وقال تعالى: {يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد:١٣].

أي يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا، وهم على الصراط: انتظرونا نستضئ من نوركم، فتقول لهم الملائكة: ارجعوا وراءكم فاطلبوا نورًا (سخرية منهم)، فَفُصِل بينهم بسور له باب، باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة، وظاهره مما يلي المنافقين من جهته العذاب.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي مَالِكٍ عَنْ رِبْعِيٍّ ﷺ عَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «.. وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ قَالَ: قُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا قَالَ: وَفِي حَافَتَيْ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا»[1].

* * *

أول من رمى بسهم في سبيل الله (سعد بن أبي وقاص ﷺ <٤>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا،وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا نتناول السيرة العطرة لأول من رمى بسهم في سبيل الله ألا وهو أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص ﷺ فهيا بنا.

من مناقب سعد بن أبي وقاص ﷺ:

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٥.

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلاَنِ - أي جبريل وميكائيل- يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ (١).

وفي هذا بيان لكرامة النبي ﷺ على الله تعالى وإكرامه إياه بإنزال الملائكة تقاتل معه، وبيان أن الملائكة تقاتل وأن قتالهم لم يختص بيوم بدر وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه فهذا صريح في الرد عليه، وفيه فضيلة الثياب البيض وأن رؤية الملائكة لا تختص بالأنبياء بل يراهم الصحابة والأولياء وفيه منقبة عظيمة لسعد بن أبي وقاص الذي رأى الملائكة.

وروى البخاري في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ مَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ سَأَلَ عُمَرَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: نَعَمْ إِذَا حَدَّثَكَ شَيْئًا سَعْدٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلاَ تَسْأَلْ عَنْهُ غَيْرَهُ (٢).

وجاء في سنن الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ » (٣).

سعد ﷺ كان مستجاب الدعوة:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: شَكَا أَهْلُ الْكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ﷺ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا ﷺ، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا- أي ما أنقص-، أُصَلِّي صَلاَةَ الْعِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ - أي أسكن وأمكث ومعناه أطول -، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالاً إِلَى الْكُوفَةِ فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الْكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلاَّ سَأَلَ عَنْهُ وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٨٢٨و(م) ٢٣٠٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٩٩.
(٣) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠ .

لِبَنِي عَبْسٍ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا أي سألتنا بالله تعالى- فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ - أي لا يخرج بنفسه معها والمراد نفي الشجاعة عنه، وقيل: معناه لا يسير بالطريق العادلة-، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ - أي الحكومة والقضاء- قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنْ الْكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ (١).

اعتزاله الفتنة:

أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي في سننهما والحاكم في المستدرك عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنْ الْمَاشِي وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنْ السَّاعِي»، قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟ قَالَ: «كُنْ كَابْنِ آدَمَ»(٢).

أخي الكريم، الذي حصل لسعد بن أبي وقاص ﷺ أنه اعتزل هذه الفتنة وقال كلمة جميلة جداً قال: لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان يقول: هذا مسلم وهذا كافر في هذه اللحظة أنا مستعد أن أقاتل، وسبحان الله اعتزاله للفتنة يعني منقبة جميلة جداً يرويها أحد الصحابة كما عند الحاكم والرجال ثقاة، عن حسين بن خارجة الأشجعي أنه قال: لما قتل عثمان بن عفان أشكلت عليّ الفتنة فقلت: اللّهم أرني أمراً أو أرني من الحق أمراً أتمسك به قال: فرأيت في النوم الدنيا والآخرة - خذ بالك الدنيا والآخرة - وبينهما حائط فنزلت من على هذا الحائط فإذا بنفر قالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن الملائكة قلت: فأين الشهداء؟ قال: اصعد في الدرجات قال: فصعدت درجة بعد درجة حتى رأيت النبيّ محمداً ﷺ ورأيت إبراهيم عليه السلام قال: فوجدت محمداً - يعني وجدت النبي ﷺ - يقول لإبراهيم عليه السلام: استغفر لأمتي فقال إبراهيم عليه السلام: إنك

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٧٢٢، و(م) ٤٥٣ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه (حم د ت ك) وصححه الألباني في ص.ج ٣٦٢٣

لا تدري ماذا أحدثوا بعدك إنهم أراقوا دماءهم وقتلوا إمامهم ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد - هذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يقول هذا في الرؤية - قال: ألا فعلوا كما فعل خليلي سعد، فلما رأى هذه الرؤية حسين بن خارجة الأشجعي ذهب إلى سعد بن أبي وقاص يبشره بهذه الرؤية فبكى سعد فرحاً وقال: لقد خاب من لم يكن إبراهيم عليه السلام خليله ثم قال له الحسين: مع أي الطائفتين أنت ستكون يا سعد؟ قال: لا مع هذا، ولا مع ذاك قال: فما تأمرني؟ قال: ألك غنم؟ قلت: لا، قال: فاشتر غنماً واعتزل كل هؤلاء جميعاً حتى تنجلي تلك الفتنة، الله أكبر فتلك
المنقبة العظيمة، قال الحافظ شمس الدين الذهبي في حقه: اعتزل سعد الفتنة فلا حضر معركة الجمل ولا معركة صفين ولا التحكيم، ولقد كان أهلاً للإمامة كبير الشأن رضي الله عنه وأرضاه، هكذا كانت الصحابة ما كان لهم حاجة في متاع ولا منصب ولا جاه (٥٧).

ذكر وفاته ﷺ:

جاء في (صفة الصفوة) لابن الجوزي : مات سعد في قصره بالعقيق على عشرة أميال من المدينة فحمل على رقاب الرجال إلى المدينة، وصلى عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، ثم صلى عليه أزواج النبي ﷺ في حجرهن ودفن بالبقيع، وكان أوصى أن يكفن في جبة صوف له كان لقي المشركين فيها يوم بدر، فكفن فيها وذلك في سنة خمس وخمسين، ويقال سنة خمسين وهو ابن بضع وسبعين، ويقال اثنتين وثمانين، وعن مالك بن أنس أنه سمع غير واحد يقول: إن سعد بن أبي وقاص مات بالعقيق فحمل إلى المدينة ودفن بها.وعن عائشة ﷺ أنه لما توفي سعد أرسل أزواج النبي ﷺ أن يمروا بجنازته في المسجد ففعلوا فوقف به على حجرهن فصلين عليه وخرج من باب الجنائز فبلغهن أن الناس عابوا ذلك وقالوا: ما كانت الجنائز يدخل بها في المسجد فبلغ ذلك عائشة فقالت: ما أسرع الناس إلى أن يعيبوا ما لا علم لهم به عابوا علينا أن نمر بجنازة في المسجد وما صلى رسول الله ﷺ على سهيل بن بيضاء إلا في جوف المسجد (٢٨).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني التاسع والعشرون:

(من بشائر النصر والتمكين <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين شهادة أعدائنا بتفوق هذا الدين، ولنعلم بأن مما يرفع نفوسنا، ويقوي هممنا، ويشحذ عزائمنا؛ أن هؤلاء الكفرة بأنفسهم قد شهدوا لنا بالتفوق، ولديننا بالعلو.

يقول لورنس براون: إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي، ويقول جلادستون: ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على المشرق.

وقال الشيوعيون وهم في سدة الحكم: من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الإسلام نهائياً.

وقال أشعايا بومن في مقالٍ نشره: لم يتفق قط أن شعباً مسيحياً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً.

وقال بن جوريون اليهودي: إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد.

ونحن نعرف أن محمداً عليه الصلاة والسلام آخر الأنبياء، لكنه يقصد قائداً جديداً.وهكذا يقول إرل بورجر الكاتب الصهيوني: إن المبدأ الذي قام عليه وجود إسرائيل منذ البداية هو أن العرب لا بد أن يبادروا ذات يوم إلى التعاون معها، ولكي يصبح هذا التعاون ممكناً، فيجب القضاء على جميع العناصر التي تغذي شعور العداء ضد إسرائيل في العالم العربي وهي عناصر رجعية، تتمثل في رجال الدين والمشايخ.

يقول براون: كان قادتنا يخوفوننا بشعوبٍ مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف، خوفونا باليابان الأصفر، والخطر البلشفي، و إلى آخره! وتبين لنا أن هؤلاء حلفاؤنا وهؤلاء أصدقاؤنا وهؤلاء! لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع،

وفي حيويته المدهشة!.

ويقول هانوتر الفرنسي: لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (حماية جناب التّوحيد وسدّ الطريق إلى الشرك)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، لقد حصل الشرك في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها، وبسبب الغلو في الصالحين، والغلو في الرسول ﷺ، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور، فالدين الذي جاءت به الرسل هو إخلاص العبادة لله ﷻ، هذا هو الدين.

أما عبادة القبور فهي دين أبي جهل وأبي لهب ودين المشركين، ليست في دين الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولكن إذا ظهر الجهل، وظهر اتباع الهوى حصل في الأمة ما حصل من جعل هذه الأمور الشركية من الدين، وجعل التّوحيد هو الخروج عن الدين، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

والرسول ﷺ حمى حدود التّوحيد حماية بليغة، بحيث إنه نهى عن كل سبب أو وسيلة توصّل إلى الشرك، ولو كانت هذه الوسيلة في أصلها مشروعة كالصلاة والدعاء، فإذا فُعلت عند القبور، فهو وسيلة إلى الشرك، ولو حسُنت نية فاعلها، فالنية لا تبرّر ولا تزكي العمل إذا كان يؤدي إلى محذور.

فالرسول نهى عن الصلاة عند القبور، ونهى عن الدعاء عند القبور، ونهى عن البناء على القبور، ونهى عن العكوف عند القبور، واتخاذ القبور عيداً، إلى غير ذلك، كل هذا من الوسائل التي تُفضي إلى الشرك، وهي ليست شركاً في نفسها، بل قد تكون مشروعة في الأصل، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله ﷻ، ولذلك منعها رسول الله ﷺ.

أخرج أبو داود في سننه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»(١).

وفي هذا الحديث دليل على أنه ليس للصلاة عليه عند قبره خاصية، بل إذا قصد الإنسان القبر لأجل الصلاة عليه فهذا منهي عنه، لكن إذا قصد قبره للسلام عليه ويصلى عليه فهذا مشروع، أما أن تقصده من أجل أن تجلس أو تقف وتصلي عليه دائماً فهذا غير مشروع، لأنه مطلوب منك الصلاة والسلام عليه في مكان (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (على الصراط <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

روى مسلم في صحيحه عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»(٢).

وجاء في المعجم الكبير للطبراني وغيره عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «..- بعد أن يسقط كل من ليس على التوحيد في النار وتبقى أمة محمد عليه الصلاة والسلام - فَيُعْطِيهِمْ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ مِثْلَ الْجَبَلِ الْعَظِيمِ يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورَهُ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا مِثْلَ النَّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورًا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى يَكُونَ رَجُلا يُعْطَى نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ يُضِيءُ مَرَّةً وَيَفِيءُ مَرَّةً، فَإِذَا أَضَاءَ قَدَّمَ قَدَمَهُ فَمَشَى، وَإِذَا طُفِئَ قَامَ"، قَالَ: "وَالرَّبُّ ﷻ أَمَامَهُمْ حَتَّى يَمُرَّ فِي النَّارِ فَيَبْقَى أَثَرُهُ كَحَدِّ السَّيْفِ دَحْضٌ

(١) (صحيح) اخرجه (د) وصححه الألباني في ص.ج ٧٢٢٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٨٧ .

مَزِلَّةٍ"، قَالَ: "وَيَقُولُ: مُرُّوا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ نُورِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالسَّحَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الْفَرَسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي أُعْطِيَ نُورَهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمَيْهِ يَحْبُو عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ تَخِرُّ رِجْلٌ، وَتَعْلَقُ رِجْلٌ، وَيُصِيبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ، فَلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَخْلُصَ، فَإِذَا خَلَصَ وَقَفَ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا أَنْ نَجَّانِي مِنْهَا بَعْدَ إِذْ رَأَيْتُهَا» (١).

* * *

قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف ﷺ<١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن على موعد اليوم مع قائد سرية دومة الجندل، هذا الذي بشره رسول الله ﷺ بالجنة ألا وهو عبد الرحمن بن عوف بن عبد بن الحارث ﷺ، يكنى أبا محمد، كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو، وقيل: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث. ولد بعد الفيل بعشر سنين وأسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم وكان من المهاجرين الأولين جمع الهجرتين جميعاً: هاجر إلى أرض الحبشة ثم قدم قبل الهجرة وهاجر إلى المدينة، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، وكان عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة. وأحد الستة الذين جعل عمر الشورى فيهم وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض (٢).

عفاف عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

جاء في صحيح البخاري عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ

(١) (صحيح) أخرجه (طب ك ابن أبي الدنيا) وصححه الألباني في صت ٣٥٩١.

قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالاً فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَمَا انْقَلَبَ - أي رجع- إِلاَّ وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ - أي الذهاب كل صبيحة - ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَهْيَمْ - أي ما حالك وشأنك وما خبرك- قَالَ: تَزَوَّجْتُ قَالَ: كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ [1].

جاء في كتاب (أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع الإسلامي): أن سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يكتف بعرض نصف ماله على أخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وكان المال كافياً للنفقة على نفسه ولأداء مهر لامرأة يتزوجها والإنفاق عليها، لم يكتف سعد بذلك بل أراد أن يتساوى هو وأخوه في الإسلام في كل ما يملك، وإذا كان سعد الأنصاري قد وصل إلى تلك القمة من الإيثار، فإن عبد الرحمن المهاجري قد وصل إلى قمة الزهد والقناعة والاستغناء بالله عن الناس، فآثر أن يسعى بنفسه في كسب رزقه، حتى أغناه الله.

إن المجتمع الذي يوجد فيه من يؤثر غيره على نفسه، كما يوجد فيه من يزهد فيما عند غيره، ويقنع بما يؤتيه الله ويفضل أن ينفق على نفسه من كسب يده، لجدير أن يعيش في أمن واستقرار يظلله الحب والتعاون والوئام.

زهد عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ﷺ: أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا فَقَالَ: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي كُفِّنَ فِي بُرْدَةٍ إِنْ غُطِّيَ رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلاَهُ، وَإِنْ غُطِّيَ رِجْلاَهُ بَدَا رَأْسُهُ وَأُرَاهُ قَالَ: وَقُتِلَ حَمْزَةُ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ، أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنْ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا، وَقَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ [2].

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٥٦٩.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ١٢١٦.

فرحم الله أولئك الأقوام، الذين سبقت لهم الحسنات الماحية والجهاد والإيمان، ومع هذا صبروا في ذات الله وخافوا على أنفسهم من زهرة الدنيا، فهلا تعلمنا من هذا الرعيل الأول خلق التقوى؟

إنفاق عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

١- جاء في مسند الإمام أحمد عَنْ شَقِيقٍ قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ إِنِّي مِنْ أَكْثَرِ قُرَيْشٍ مَالاً بِعْتُ أَرْضًا لِي بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَالَتْ: أَنْفِقْ يَا بُنَيَّ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ مِنْ أَصْحَابِي مَنْ لاَ يَرَانِي بَعْدَ أَنْ أُفَارِقَهُ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ فَأَتَاهَا فَقَالَ: بِاللَّهِ أَنَا مِنْهُمْ قَالَتْ: اللهمَّ لاَ وَلَنْ أُبَرِّئَ أَحَدًا بَعْدَكَ (١).

٣- وجاء في المعجم الكبير للطبراني عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: تَصَدَّقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ بِشَطْرِ مَالِهِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَةَ آلافٍ، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفً، ثُمَّ تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى خَمْسِمِائَةِ فَرَسٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةِ رَاحِلَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَانَ عَامَّةُ مَالِهِ مِنَ التِّجَارَةِ(٢).

٣- وروى الترمذي في سننه عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ: أَوْصَى بِحَدِيقَةٍ لِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِيعَتْ بِأَرْبَعِ مِائَةِ أَلْفٍ (٣).

٤- وأخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ أُمِّ بَكْرٍ بِنْتِ الْمِسْوَرِ، أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ بَاعَ أَرْضًا لَهُ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَقَسَمَهُ فِي فُقَرَاءِ بَنِي زُهْرَةَ وَفِي الْمُهَاجِرِينَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْمِسْوَرُ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ بِنَصِيبِهَا فَقَالَتْ: مَنْ أَرْسَلَ بِهَذَا؟ فَقُلْتُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ قَالَتْ: أَمَا إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، وَقَالَ الْخُزَاعِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لَا يَحْنُو عَلَيْكُنَّ بَعْدِي إِلَّا الصَّابِرُونَ سَقَى اللهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ مِنْ سَلْسَبِيلِ الْجَنَّةِ»**(٤).

فكانت هذه منقبة له ولقد كان كثير الصدقات رضي الله عنه مواصلاً لآل

---

(١) (صحيح الإسناد) أخرجه (حم) ٢٦٧٣٦ وقال شعيب الأرنؤوط صحيح الإسناد .
(٢) (مرسل ورجاله ثقات) أخرجه (طب) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٩٠٠ رجاله ثقات.
(٣) (صحيح لغيره) أخرجه (ت) ٣٧٥٠ وقال الألباني عنه صحيح لغيره.
(٤) (حسن) أخرجه (حم) ٢٤٧٦٨ وقال شعيب الأرنؤوط عنه حسن.

بيت رسول الله ولأمهات المؤمنين، فهنيئا له بهذه المنقبة.

جهاد عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد : لقد بعث رسول الله ﷺ سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان سنة ست من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا: دعا رسول الله ﷺ، عبد الرحمن بن عوف فأقعده بين يديه وعممه بيده وقال: اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله! لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا! وبعثه إلى كلب بدومة الجندل وقال: إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم، فسار عبد الرحمن حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام فأسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا وكان رأسهم- أي رئيسهم-، وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام من أقام - أي على دينه- على إعطاء الجزية وتزوج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ وقدم بها إلى المدينة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن (٢٩).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

اللقاء الإيماني الثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين أن الله تعالى لا يمكن أن يبقي الكفار في تمكين وإلا تفسد الأرض، لكن مداولة للأيام بين الناس، وهكذا نقول اليوم لأنفسنا: متى تنكسر شوكتهم؟

إن غطرسة الأمم الكافرة لمن المبشرات بأن فجر الإسلام قادم، إنهم ينفقون الأموال الطائلة والمخططات: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال:٣٦] هل الغلبة ستكون في الدنيا، أو في الآخرة فقط؟ قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخرة} [آل عمران:٥٦]، لقد استوفت الأمة الظالمة اليوم المستكبرة في الأرض أسباب الهلاك، لقد ادعوا دعاوى الألوهية، وتغطرسوا كثيراً، ومارسوا طريقة فرعون: {أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى} [النازعات:٢٤]، ولكن ماذا كانت نتيجة فرعون؟{وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف:١٣٧].

تألوا على الله، وزعموا أنه أخرجهم لقيادة العالم، وكذبوا على الله، وزعموا أنه اختارهم ليخلصوا البشرية ويقودوها في مطلع القرن الحادي والعشرين، وقالوا: فليباركنا الرب.

وألف فوكوياما كتابه (نهاية التاريخ) مغروراً يعني: أن هذه الأمة عندهم (الكفرة) وصلت إلى القمة وليس هناك بعدها شيء.

ولقد كثرت الذنوب والمعاصي عند الغرب حتى صاروا قادة العالم في الموبقات، والجنس والقذارة، وأنواع الفواحش، والآراء الضالة التي فرضوها، والسياسة والاقتصاد والثقافة، وعالم السينما والإعلان، وغير ذلك، والله يأخذ المذنبين، ألم يقل: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران:١١]؟ وقال عن قوم لوط: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود:٨٣]، وقال تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ}

[القصص:٥٨]، ألم يقعوا في الترف والإسراف في المآكل والمشارب والمساكن والمراكب والأثاث وصناعة الترفيه والسياحة والرياضة والأفلام؟! إن ذلك مؤذنٌ بتدمير دولهم.

ألم يقل الله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} [الإسراء:١٦]؟! ألم يغتروا بقوتهم ويقولوا كما قالت عاد: {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت:١٥]؟ ماذا فعل الله بعاد؟! {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت:١٦].

ولقد وعد الله ﷻ بأنه سيجزي القوم المجرمين وأنه سيهلكهم، وسنته ماضية: {فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [البقرة:٥٩]، إن الله لا يصلح عمل هؤلاء؛ لأنهم مفسدون: {إِنَّ اللهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس:٨١].

أليسوا أصحاب مكر، وحيل، وخداع، وخطط، ودهاء، وأساليب، سيناريوهات وإخراجات لضرب أهل الإسلام؟! هؤلاء لا شك أن مكرهم سيكون دماراً عليهم، قال تعالى: {اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ} [فاطر:٤٣] أي ينتظرون {إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً} [فاطر:٤٣]، {وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} [النمل:٥٠-٥١] فكل أسباب إهلاك القرى في القرآن اجتمعت، فماذا ينتظرون إلا أن يأتي أجلهم: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف:٣٤] (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان <١>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

جاء في صحيح مسلم وغيره عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ رَبِّي

زَوَى- أي جمع - لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ - أي المراد بالكنزين الذهب والفضة والمراد كنزا كسرى وقيصر ملكي العراق والشام -، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ:وَلَا أُهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ -أي لا أهلكهم بقحط يعمهم بل إن وقع قحط فيكون في ناحية يسيرة بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام - وَلَا أُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ - أي إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم من بجوانب الأرض - وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، أَوْ قَالَ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي لَمْ يُرْفَعْ عَنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»(١).

إخوتي في الله، قالَ القرطبي رحمه الله تعالى: كان ذلك من دلائل نبوته ﷺ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة الذي هو منتهى عمارة المغرب، إلى أقصى المشرق مما هو وراء خراسان والنهر، وكثير من بلاد السند والهند، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال.والشاهد من هذا الحديث قوله:«حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ» والمعنى: أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الجاحدين لما يقع منهم من الشرك بالله بعبادتهم الأوثان، وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد وما يناقضه من الشرك، فالتوحيد هو أعظم مطلوب والشرك هو أعظم الذنوب.وقوله:«وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ» (٣١).

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م حم د ت هـ) وصححه الألباني في ص.ج ١٧٧٣.

مشاهد من الدار الآخرة (الشفاعة الخاصة للرسول ﷺ ودخول أهل الجنة الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، إذا عبر أهل الجنة الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فتمحص قلوبهم من بعض، حتى يهذبوا وينقوا، ثم يأذن لهم بدخول الجنة ولكن بعد شفاعة النبي ﷺ إلى الله ﷻ فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ (٣٣).

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا - أي يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض- حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا - أي خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص - أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ - أكثر دلالة وأعرف - بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[١].

من هذا الحديث يتضح لنا أنه بعد أن يعبر المؤمنون الصراط يحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن وإنهم عندما يدخلون الجنة فإن كل واحد يهتدي لمكان داره في الجنة أكثر من اهتدائه لمنزله الذي كان له في الدنيا.

وروى مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ قَالَ: يَقُولُ بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لَا أَفْتَحَ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»[٢].

وأخرج مسلم أيضًا في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»[٣]، وفي رواية أخرى لمسلم: «أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣٠٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٧.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٦.

نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ».

* * *

قائد سرية دومة الجندل (عبد الرحمن بن عوف ﷺ<٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع السيرة العطرة لقائد سرية دومة الجندل هذا الذي بشره رسول الله ﷺ بالجنة ألا وهو عبد الرحمن بن عوف ﷺ فهيا بنا.

مناقب عبد الرحمن بن عوف ﷺ:

جمع أحد فضلاء الشعراء العشر المبشرين بالجنة ﷺ في بيتين فقال:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ::: في جنة الخلد نصا زادهم شرفا

هم طلحة وابن عوف والزبير مع ::: أبي عبيدة والسعدان والخلفا

وأخرج الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»(١).

وأخرج أبو يعلى في مسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: جلست مع عمر بن الخطاب فقال لي: يا ابن عباس هل سمعت عن رسول الله ﷺ شيئا أمر به المرء المسلم إذا سها في صلاته كيف يصنع؟ قال: فقلت: لا والله أو ما سمعت أنت يا أمير المؤمنين من رسول الله ﷺ في ذلك شيئا؟ قال: فقال: لا والله فبينما نحن في ذلك أتى عبد الرحمن بن عوف فقال: فيم أنتما؟ قال: فقال له عمر سألته، فأخبره عما سأله فقال له عبد الرحمن: لكني قد سمعت رسول الله ﷺ يأمر في ذلك فقال له عمر: فأنت عندنا عدل فماذا سمعت من رسول الله ﷺ؟ قال: فقال عبد الرحمن: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سها أحدكم في صلاته حتى لا يدري أزاد أم نقص فإن كان شك في الواحدة والثنتين

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠.

فليجعلها واحدة وإذا شك في الثنتين أو الثلاثة فليجعلها ثنتين وإذا شك في الثلاث والأربع فليجعلها ثلاثا حتى يكون الوهم في الزيادة ثم يسجد سجدتين وهو جالس قبل أن يسلم ثم يسلم [1].

انظر أخي في الله : كيف أن رسول الله ﷺ يشهد لهذا الصحابي الجليل بالجنة وكذا يشهد صحابة رسول الله له بالعدالة فيالها من منقبة عظيمة.

بيعة عبد الرحمن بن عوف لعثمان رضي الله عنهما بالخلافة:

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه - بعد أن طعن -: مَا أَجِدُ أَحَدًا أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلاَءِ النَّفَرِ أَوْ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ الأَمْرِ شَيْءٌ كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ، فَإِنْ أَصَابَتْ الإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ وَإِلاَّ فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ عَنْ عَجْزٍ وَلاَ خِيَانَةٍ... فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ - أي دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه- اجْتَمَعَ هَؤُلاَءِ الرَّهْطُ - أي الذين أوصى بهم عمر بن الخطاب - فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلاَثَةٍ مِنْكُمْ فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأُ مِنْ هَذَا الأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ وَاللهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلاَمِ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ - أي عثمان وعلي رضي الله عنهما - فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيَّ وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لاَ آلُ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالاَ: نَعَمْ فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الإِسْلاَمِ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلاَ بِالآخَرِ فَقَالَ لَهُ: مِثْلَ ذَلِكَ فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ فَبَايَعَهُ فَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ [2].

ولقد أشرف عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، قال الحافظ شمس الدين الذهبي:

---

(١) (إسناده صحيح) أخرجه (ع) ٨٣٩ وقال حسين أسد إسناده صحيح.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٩٧

ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمَّة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص ﷺ (٥٠).

عبد الرحمن بن عوف ﷺ يؤمُّ النبي ﷺ:

جاء في صحيح مسلم عَنْ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَالَ: إِنَّه غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَبُوكَ فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ... فَأَقْبَلْتُ مَعَهُ حَتَّى نَجِدُ النَّاسَ قَدْ قَدَّمُوا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَصَلَّى لَهُمْ فَأَدْرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى الرَّكْعَتَيْنِ فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ الرَّكْعَةَ الآخرة فَلَمَّا سَلَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُتِمُّ صَلاَتَهُ [١]. يالها من منقبة عظيمة.

وفاة عبد الرحمن بن عوف:

جاء في المستدرك للحاكم عن عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة، وكانت من المهاجرات الأول، في قول الله عز وجل: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ} [البقرة:٤٥]، قالت: غشي على عبد الرحمن بن عوف غشيةً - أي فقدان للوعي-، فظنوا أنه فاض نفسه فيها، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد، تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة، فلما أفاق قال: أغشي علي آنفا ؟ قالوا: نعم، قال: صدقتم إنه جاءني ملكان فقالا: انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين، فقال ملك آخر: أرجعاه فإن هذا ممن كتبتم له السعادة، وهم في بطون أمهاتهم، ويستمتع به بنوه ما شاء الله فعاش بعد ذلك شهرا ثم مات [٢].

وعن يعقوب بن عتبة قال: مات عبد الرحمن بن عوف سنة اثنتين وثلاثين وهو يومئذ ابن خمس وسبعين (٢٤).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧٤.

(٢) (صحيح) أخرجه (ك) ٣٠٦٦ قال الذهبي في التلخيص على شرط البخاري ومسلم.

اللقاء الإيماني الحادي والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين شهادة الأعداء للإسلام. قال ألبرن شاذر: من يدري ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب، يقول: لست متنبئاً لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها، إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ: هأنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداةً تسيرها العواصم الكبرى.

ويقول أشعايا بومن أيضاً: إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لأن الإسلام منذ ظهر بمكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، وأن هذا الدين من أركانه الجهاد. هكذا قال في مقالة نشرها في مجلة العالم الإسلامي التبشير والاستعمار.

ويقول أنطوني ناتنج في كتابه العرب: منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على الغرب أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة صلبة تواجهنا عبر المتوسط.

يقول سالازار في مؤتمر صحفي: إن الخطر الحقيقي على حضارتنا هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم.

ويقول آخر: إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر وقلق وكاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبة يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن وحرية أوفر.

وهكذا يقول مورو برجر: إن الإسلام يفزعنا عندما نراه ينتشر بيسر في القارة الأفريقية. ويقول هانوتو: رغم انتصارنا على أمة الإسلام وقهرها، فإن الخطر لا يزال موجوداً في انتفاض المقهورين الذين أتعبتهم النكبات التي

أنزلناها بهم؛ لأن همتهم لم تخمد بعد. ويقول: مرمديوك باكتل: إن المسلمين يمكن أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً بشرط: أن يعودوا إلى الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول؛ لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم.

وهكذا يقولون: إنه إذا وجد القائد المناسب الذي يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر قوةً عظمى في العالم مرةً أخرى.

ويقول جب: إن الحركات الإسلامية تتطور بصورةٍ مذهلة تدعو إلى الدهشة! تنفجر انفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من أماراتها ليدعوهم إلى الاسترابة في أمرها، فهذه لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد (٢١).

* * *

على درب التوحيد (بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان<٢>)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، إن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان سواء أصنام، أو قبور، أو أحجار، أو أشجار، أو جان، أو إنس، وهذا ردٌ على من زعم أنه لا يقع في هذه الأمة شرك، وهم عباد القبور يقولون: هذا الذي نعمله ليس بشرك، لأنه لا يقع الشرك بهذه الأمة؟ وإنما هو من باب الحب والتوسل بالصالحين.

وكان بعض هؤلاء يقول لأصحابه: من كان له حاجة فليأت إلى قبري فإني أقضيها له ولا خير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، ونحو هذا، وهذا هو الضلال البعيد، ومن هذا الضرب: من يدعي أنه يصل مع الله إلى حال تسقط فيها عنه التكاليف، ويدعِّي أن الأولياء يدْعَوْن ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، وأنه يطلع على اللوح المحفوظ، يعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، ويجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين وإيقادها بالسرج ونحو ذلك من الغلو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر.

وهذه مقالة المشركين الأولين قال تعالى عنهم:{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى} [الزمر: ٣]، وقال تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ} [يونس: ١٨]، لكن هؤلاء يقرأون القرآن ولا يفقهون معناه، أو يعرفون معناه، ويكابرون تبعاً لهواهم.

وأخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى قَالَ: فَمَنْ؟» (١).

وقال تعالى:{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً} [الكهف: ٢١] هذا في قصة أصحاب الكهف، وذلك أن جماعة من الفتيان في الزمان القديم آمنوا بالله، وأنكروا ما عليه أهل بلدهم من الشرك بالله، فلما ماتوا قال أصحاب الكلمة والنفوذ، نبني عليهم مسجداً من أجل التبرُّك بهم، والصلاة عندهم، والدعاء عندهم، لأنهم من أولياء الله، ونفّذوا ذلك بقوة السلطة لا بقوة الحجة، وقد نهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ولعن مَن فَعَلَ ذلك في آخر وصاياه لأمته، كما أنه نهى عن البناء على القبور مطلقًا، وعن تجصيصها والكتابة عليها؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها، وبالرغم من ذلك فلقد وقع هذا، ووُجد في هذه الأمة من يبني المساجد على القبور، فها هي الأضرحة، والبناء على القبور، والطواف بها، وإقامة الموالد، والاستغاثة بالأموات، والذبح والنذر لهم موجود، كما كان في اليهود (٣١).

وكذلك أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ - أي وهن يطفن حول هذا الصنم - حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ » (٢).

وهذا خبر صحيح ولا بد من وقوعه، وكل هذا يكذب قول من ينفي الشرك في هذه الأمة ويستدل بحديث جابر ﷺ الذي رواه مسلم في صحيحه: « إِنَّ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٢٦٩، و(م) ٢٦٦٩.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٦٩٩، و(م) ٢٩٠٦.

الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[1]، فللعلماء عليه أجوبة : أن الشيطان قد أيس أن يجمع كل المصلين على الكفر، واختار هذا القول العلامة ابن رجب الحنبلي في الدرر السنة، أو أن هذا إخبار عما وقع في نفس الشيطان من اليأس لما رأى الفتوح، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، فالحديث أخبر عن ظن الشيطان وتوقعه، ثم كان الواقع بخلاف ذلك لحكمة يريدها الله عز وجل. واختار هذا القول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أهل الأعراف)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

قال تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ(٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاء أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ(٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ(٤٨) أَهَؤُلاء الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ(٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ(٥٠) الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ(٥١) } [الأعراف: ٤٦-٥٠].

المعنى: وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كبياض وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨١٢

يرجون دخولها. وإذا حُوِّلَتْ أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار قالوا: ربنا لا تُصيِّرنا مع القوم الظالمين بشركهم وكفرهم. ونادى أهل الأعراف رجالا من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم، قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقَبول الحق. أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا. واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذَّبوا رسله. وأهل هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه باطلا ولهوًا، وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن الآخرة، فيوم القيامة ينساهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

* * *

رجل مستجاب الدعوة (سعيد بن زيد ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، جعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع رجل مستجاب الدعوة ومن العشرة المبشرين بالجنة. إنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ﷺ، ولقد أسلم وزوجته فاطمة بنت الخطاب قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم (١٣).

جهاد سعيد بن زيد ﷺ:

لقد شهد سعيد بن زيد ﷺ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا بدراً فلقد بعثه رسول الله مع طلحة قبل خروجه إلى بدر يتجسسان خبر العير فمرت بهما، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فخرج ورجعا يردان المدينة ولم يعلما بخروج النبي ﷺ فقدما في اليوم الذي لاقى فيه رسول الله ﷺ المشركين فخرجا

يعترضان رسول الله فلقياه منصرفا من بدر فضرب لهما بسهامهما وأجرهما فكانا كمن شهدها (٢٨)، وقال ابن عساكر: إن سعيد بن زيد شهد اليرموك وحصار دمشق وولاه أبو عبيدة بن الجراح دمشق وخرج مع عمر ﷺ في خرجته الثانية إلى الشام التي رجع فيها من سرغ - أي مكان بين الحجاز والشام - وكان أميرا على ربع المهاجرين(١٣).

كان سعيد بن زيد ﷺ من العشرة المبشرين بالجنة:

أخرج الترمذي في سننه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الْجَنَّةِ،وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»(١).

كان سعيد بن زيد ﷺ مستجاب الدعوة:

روى مسلم عَنْ عُرْوَةَ بن الزُّبَير ﷺ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بَيْنَا - أي بينما- هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا، إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ(٢).

الله أكبر! وبهذا يتحقق قَوْل رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :«إِنَّ الله قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»(٣). ومِثْلُ العدوان على أرض الغير العدوانُ على المالِ العامّ،

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٥٠.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ١٦١٠.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٣٧.

بل وهو أشدُّ حُرمَةً وأبشَعُ أثَرًا؛ لأنّ الضَّرَرَ فيه يُصيبُ الأمّةَ بمَجموعها.

موت سعيد بن زيد ﷺ:

توفي سعيد بن زيد ﷺ سنة إحدى وخمسين، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقُبِرَ بالمدينة، ونزل في قبره سعد بن أبي وقاص، وابن عمر (٢٤).

فرضي الله عنه وأرضاه وأسكنه فسيح جناته جنة الفردوس الأعلى.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثاني والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٤>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين أن هناك دراسات غربية تدل على قوة انتشار الإسلام والمسلمين، فهناك أشياء كثيرة درسوها وتبين لهم أن قوة المسلمين قادمة.

فمن الدراسات التي أعدها شارلز ويليم أنه في دراسته بعنوان الشرق الأوسط في القرن الواحد والعشرين لمعهد الشرق الأوسط بـ واشنطن، ويهيمن عليه اليهود ويؤثر في توجيه سياسات القوم هناك: كان المسلمون يشكلون في عام (١٩٨٠م) حوالي (١٨%) من سكان العالم، وبحلول نهاية الربع الأول من القرن القادم من المتوقع أن يشكلوا أكثر من (٣٠%) وفي الشرق الأوسط نفسه من المتوقع أن يستمر هذا المعدل السريع في النمو، وهكذا فإن مصر من المتوقع أن تصعد من مستوى سكان أقل من سبعين مليون نسمة اليوم إلى قرابة مائة وعشرين مليوناً بحلول منتصف القرن القادم، ومن المتوقع أن تزيد السعودية ثلاثة أضعاف في حجم السكان، فتزيد من واحد وعشرين مليوناً إلى واحد وستين مليون نسمة، وسوف تصبح سوريا قوة سكانية كبرى حيث سيصل سكانها إلى خمسين مليوناً تقريباً عام (٢٠٥٠م) إن هذه التحولات الديموجرافية السكانية المهمة ستبدل تاريخ المنطقة. وفي كثير من تلك الدول هناك ملمح مميز للسكان وهو: تضخم أعداد الشباب الذين يشكلون بحماستهم ضغوطا شديدة.

ويواصل كاتب الدراسة التركيز على زيادة شريحة الشباب في الدول الإسلامية التي تشكل مزيداً في قوة المسلمين المستقبلية.

وهذا صمويل هنتكتن الذي يقول في كتابه صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي: بأن الشباب في الثقافات الإسلامية يتسمون بعنف زائد في نوعه، وهكذا فإنه من غير المطمئن ما سيجده هؤلاء من التضخم في عدد الشباب في العشرين سنة الأولى من القرن القادم (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في السحر)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، السحر نوعٌ من أنواع الشرك ومن السبع الموبقات والدليل حديث أبي هريرة ﷺ في صحيح البخاري فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» (١).

فالسحر من الإيمان بالجبت وهو كفر يخرج من الملة لأن السحر لا يمكن الوصول إليه إلاَّ عن طريق الشياطين، فالسحرة يخضعون للشياطين، ويستعينون بهم في سحرهم، وهذا شرك بالله ﷻ، ويؤثِّر السحر بإذن الله في المسحور إما قتلاً، وإما مرضاً، وإما تفريقاً بينه وبين حبيبه، وإما أن يمنعه عن زوجته فلا يستطيع الوصول إليها.

وقد سُحر النبي ﷺ، وأثر فيه السحر، وصار عليه الصلاة والسلام يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله، ورقاه جبريل فبرئ بإذن الله. فالسحر له حقيقة، ويؤثر في بدن المسحور، ولكنه لا يؤثِّر إلاَّ بإذن الله القدريّ الكونيّ، كما قال تعالى: {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ}، وقد ذكر العلماء أن السحر المحرم على نوعين: سحر حقيقي، وهو هذا الذي ذكرنا، والنوع الثاني: سحر تخييلي، ليس له حقيقة، وإنما هو خيال وشعوذة، وهو ما يسمّى بالقُمْرة، فالساحر يخيِّل للناس شيئاً وهو ليس حقيقة، كأن يخيِّل للناس أنه دخل في النار، وليس كذلك.

وقال تعالى: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣)} [الشعراء:٢٢٣].

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٤٦٥.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الْأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ» (١).

والكاهن هو الذي يخبر النّاس عن المُغَيّبات، بسبب أنه يسأل الشياطين، وتُخبره الشياطين عن الأشياء الغائبة، والأشياء المسروقة والمفقودة، والأشياء البعيدة، فهو يخبر الناس، فيظنون أن هذا الكاهن يعلم الغيب، وهو ليس كذلك، لا يعلم الغيب، وإنما أخبرته الشياطين بأشياء غائبة، لأن الشياطين لهم مقدرة ليست عند الإنس، فإذا تقرّب إليهم الإنسي بما يريدون من الشرك والذبح لغير الله والسجود لهم؛ فإنهم يخدمونه بما يريد، فيظن الإنس أن هذا الكاهن عنده خبر من الغيب، والحقيقة أن هذا كله من الشيطان.

فلا يجوز الذهاب إلى الكُهَّان والمشعوذين والدجّالين لا للعلاج، ولا للسؤال عن الأشياء الضائعة (٦).

روى الإمام أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ ﵄، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (٢).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أسباب سقوط العقوبة عن العصاة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، إذا وقع المؤمن في المعاصي فإن الله سبحانه وتعالى قد فتح لعباده أبواب رحمته، للخلاص من عقوبة ما يقعون فيه، قال صاحب العقيدة الطحاوية

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٣٨.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٩٣٩ .

فيما ملخصه: إن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بعدة أسباب عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة نذكر منها :

الأول: التوبة: والتوبة النصوح هي الخالصة، وهي الخالصة لا يختص بها ذنب دون ذنب، قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣)} [الزمر :٥٣] وهذا لمن تاب.

الثاني: السبب الثاني الاستغفار، قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)}[الأنفال : ٣٣].

الثالث: الحسنات، قال الله تعالى: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود :١١٤]، وقال رسول الله ﷺ: «وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا» (١).

رابعا: المصائب الدنيوية، والدليل قول رسول الله ﷺ: « مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الْهَمِّ يُهَمُّهُ إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ » (٢).

خامسا: عذاب القبر، يعني قد يعذب الإنسان في قبره ثم تسقط عنه عقوبة جهنم.

سادسا: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة، وبعد الممات، قد يكون الإنسان مستحقا للعذاب، ثم يغفر الله له بسبب دعاء المسلمين واستغفارهم له.

سابعا: ما يهدى إليه بعد الموت من ثواب صدقة أو قراءة أو حج أو نحو ذلك، إذا أهداه صدقة تصدق عنه، قد تسقط عنه عقوبة جهنم.

ثامنا: أهوال يوم القيامة وشدائده، قد يخفف عنه تسقط عنه عقوبة جهنم، تصيبه أهوال وشدائد في موقف القيامة، فتسقط بها عقوبة جهنم عنه.

تاسعا: اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض، حينما يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار بعد عبور الصراط إذا كان لك مظلمة على شخص، ثم أخذت حقك قبل دخول الجنة سقطت عنه عقوبة جهنم، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت دارمي) وصححه الألباني في مش ٥٠٨٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٥٧٣ .

حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا - أي يتراضون فيما بينهم ويتسامحون عما كان لبعضهم من تبعات على بعض- حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا - أي خلصوا من جميع الآثام ولم يبق على أحدهم أية تبعة من التنقية وهي تمييز الجيد من الرديء والتهذيب وهو التخليص - أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ - أكثر دلالة وأعرف - بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[1].

عاشرا: شفاعة الشافعين قد يشفع له، فلا يدخل جهنم.

حادي عشر: عفو أرحم الراحمين، قد يعفو الله عن بعض الناس بدون شيء، عفوه أرحم الراحمين من غير شفاعة، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} [النساء : ٤٨].

* * *

أول من أسلم من النساء (خديجة بنت خويلد ﵂)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع أول من أسلم من النساء، وأفضل نساء أهل الجنة، إنها خديجة بنت خويلد بن أسد ﵂، وأمها فاطمة بنت زائدة بن جندب، وكانت خديجة تدعى في الجاهلية الطاهرة، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند عتيق بن عابد بن عبد الله وذكر الطبراني: أنها ولدت لعتيق هندًا ثم خلف عليها أبو هالة مالك بن بناش فولدت له هندا وهالة.

زواج رسول الله ﷺ بخديجة بنت خويلد ﵂:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد : أن خديجة ﵂ كانت يوم تزوجها رسول الله ﷺ، بنت أربعين سنة وكانت أسن منه بخمسة عشرة سنة، فولدت القاسم وعبد الله، وهو الطاهر، والطيب، سمي بذلك لأنه ولد في الإسلام، وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكان بين كل ولدين سنة (٢٩).

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٣٠٨.

بعثة رسول الله ﷺ:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها - بعد أن نزل جبريل عليه السلام على رسول الله في غار حراء بسورة العلق- فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رضي الله عنها فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ: لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ: خَدِيجَةُ كَلاَّ وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ [1].

والمرأة الصالحة لها أثر في نجاح الدعوة، وقد اتضح ذلك في موقف خديجة رضي الله عنها وما قامت به من الوقوف بجانب النبي ﷺ وهو يواجه الوحي لأول مرة (٢٦).

قال الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السيرة النبوية قال ابن إسحاق: وآمنت خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن رسوله لا يسمع شيئا يكرهه إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رضي الله عنها وأرضاها.

عام المقاطعة: ولمّا قُضيَ على بني هاشم وبني عبد المطلب عام المقاطعة أن يخرجوا من مكة الى شعابها، لم تتردد السيدة خديجة في الخروج مع رسول الله لتشاركه أعباء ما يحمل من أمر الرسالة الإلهية التي يحملها، وعلى الرغم من تقدمها بالسن أقامت في الشعاب ثلاث سنين، وهي صابرة محتسبة للأجر عند الله تعالى (٢٥).

فضائل خديجة رضي الله عنها:

لقد كان رسول الله ﷺ مثالاً عالياً للوفاء ورد الجميل لأهله، فقد كان في غاية الوفاء مع زوجته المخلصة في حياتها وبعد مماتها، وقد بشرها ﷺ ببيت في الجنة في حياتها، وأبلغها سلام الله جل وعلا وسلام جبريل عليه السلام، أخرج الشيخان واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣.

فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهَّ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»[1].

وتذكر عائشة ﵂ وفاء النبي ﷺ لخديجة بعد وفاتها بقولها: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَد[2].

وأظهر رسول الله ﷺ البشاشة والسرور لأخت خديجة لما استأذنت عليه لتذكُّره خديجة، فَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ فَارْتَاعَ لِذَلِكَ فَقَالَ: «اللهمَّ هَالَةَ» قَالَتْ: فَغِرْتُ فَقُلْتُ: مَا تَذْكُرُ مِنْ عَجُوزٍ مِنْ عَجَائِزِ قُرَيْشٍ حَمْرَاءِ الشِّدْقَيْنِ هَلَكَتْ فِي الدَّهْرِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا[3].

إن وجه القدوة فيما سلف ذكره هو في وفاء النبي وحبه لزوجته، حتى امتد ظلال ذلك الحب والوفاء وطيب العشرة إلى صديقات زوجته ومن له صلة بها، حتى لا ينسى الأزواج العشرة الطيبة مع زوجاتهم في حياتهن وبعد مماتهن.

فعليكم بالإحسان وأداء حقوق الزوجات، وأن تحسنوا لأقاربهن وصديقاتهن وفاءً لحقوق الزوجية.

يقول الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله: وهذا أعجب شيء أن تغار عائشة رضي الله عنها من امرأةٍ ميتة، ولا تغار من نسوة يعشن عند النبي ﷺ، فلا تغار من أم سلمة، ولا من أم حبيبة،.. وتغار من امرأةٍ ميتة! وهذا من لطف الله بنبيه حتى لا يتكدر عيشه، فبمجرد صوت هالة أخت خديجة ﵂ يذكر عائشة بها فقالت له: وما تفعل بعجوزٍ حمراء الشدقين هلكت في الدهر أبدلك الله خيراً منها؟ قولها: حمراء الشدقين كناية عن سقوط أسنانها، وعديم الأسنان لا

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٠٩ ، و(م) ٢٤٣٢ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦٠٧.
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦١٠، و(م) ٢٤٣٧ واللفظ للبخاري .

يبقى في فمه إلا حمرة اللثة وقولها: أبدلك الله خيراً منها- أي: تقصد نفسها- فقال لها النبي ﷺ وهذا ليس عند البخاري: لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كذبني الناس، وأعطتني إذ حرمني الناس، وواستني بمالها عندما منعني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء (٦٢).

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وغيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» (١).

وجاء في السيرة النَّبوية لفضيلة الدكتور على الصلابي: ما قاله فضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: أن خديجة رضي الله عنها مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، فأصحاب الرسالات يحملون قلوباً شديدة الحساسية، ويلقون غُبناً بالغاً من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهاداً كبيراً في سبيل الخير الذي يريدون فرضه وهم أحوج مايكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد ﷺ أثر كريم (٢٦).

فهلا تعلمت نسائنا من خديجة رضي الله عنها كيف تكون معاملة الأزواج؟! وهلا تعلم الرجال من رسول الله ﷺ خصلة الوفاء وحفظ الجميل؟!

وفاة خديجة رضي الله عنها:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن حكيم بن حزام قال: توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ بنت ٦٥ سنة، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون، ونزل رسول الله ﷺ في حفرتها، ولم تكن يومئذ سنة الجنازة الصلاة عليها (٢٩).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (حم طب ك) وصححه الألباني في ص.ج ١١٣٥.

اللقاء الإيماني الثالث والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٥>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين أن هناك دراسات غربية تدل على قوة انتشار الإسلام والمسلمين، وتقول: إذا أضفنا إلى ذلك انتشار الإسلام في بلادهم، وتمعنَّا ماذا سينتج عن ذلك؟ وماذا يمكن أن يكون الوضع في المستقبل؟ إنه أمر مخيف لهم أيضاً! فيقولون بأن الإحصائيات في عام (١٩٧٠م) كان عدد المسلمين في أمريكا خمسمائة ألف، أي: نصف مليون فقط، الآن قرابة تسعة ملايين مسلم، بل إن عددهم يفوق عدد اليهود الأمريكيين وهم في زيادة. ثم يرصدون أنه بعد (١١ سبتمبر) تضاعف عدد الداخلين في الإسلام ثلاثة أضعاف من أهل البلاد الأصليين، وهذا يعني بأن الناس هناك يريدون التعرف على الإسلام والقراءة عنه، هناك دهشة لما يحصل في بوسطن كان يوجد فقط في عام (١٩٨٢م) مسجد واحد فقط، يوجد الآن في بوسطن (٣٠) جامعاً تصلى فيه صلاة الجمعة، ومصليات في مستشفيات هناك، وفي ثانويتين توجد مصليات، قضايا الحجاب ترفع بعضها فيكسبها أهلها المسلمون، وبعضها لا يكسبونها، لكنها تنبئ عن تحدٍ واستمرار على الدين وتمسك به. يقول أحد خبرائهم: أحد إغراءات الإسلام أن أخلاقهم صارمة، الكثير من الناس الذين يعيشون حياة الفسق يريدون تغيير حياتهم، لكنهم يحتاجون للمساعدة، ثم يجدون المساعدة في دين الإسلام.

واضطرت هيلاري كلينتون إلى الاعتراف بأن الإسلام هو الأسرع انتشاراً في أمريكا، وبدأ المسلمون يتحركون بشكل إيجابي في بعض النواحي، ومما يؤكد على قضية الإغراء الخاص لهذا الدين بما ينتزعه من عدد من الناس من الطبقة الوسطى ويصهر الأعراق في بعضها، في المساجد أكثر من ثمانين ألفاً من المسلمين الأمريكيين هم من أصول أوروبية (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (أنواع السحر)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، هناك خوارق تجري على أيدي بعض النّاس خارجة عن الأسباب المعروفة، مثل: المشي على الماء، والطَّيَران في الهواء، والإخبار عن الأشياء الغائبة، وإحضار الشيء البعيد، وهذه الخوارق إن جرت على أيدي الصالحين فهي كرامات من الله سبحانه وتعالى، والكرامات ثابتة عند أهل السنّة والجماعة، تجري على أيدي الصالحين إكراماً لهم من الله سبحانه وتعالى، وقد تجري على أيدي الكفرة، والفسّاق، والمنافقين، فتكون هذه الخوارق شيطانية، يفتِنون بها الناس، ويلبِّسون بها على الناس، وهي إما سحر، وإما بسبب استخدام هؤلاء الفسّاق للشياطين، فيخدمهم الشياطين بهذه الأمور التي ليست من مقدور بني آدم، وإما أن لها أسباباً خفيّة لم تظهر للنّاس من حِيَل، يعملونها.

وأخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو داود وابن ماجة في سننهما عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» (١).

فالإنسان لا يجوز له أن يتعلم التنجيم الذي عليه المشركون، لأنه سحر وشرك بالله سبحانه وتعالى، وعلى كل حال؛ أمر السحر أمرٌ خطير، وفي هذا الزمان كثر شرّ السحرة، صاروا يستعملون السحر من أجل ابتزاز أموال الناس، فلا يجوز الذهاب إلى السحرة ولا الكُهَّان لقول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً (٢)»، ولقول النَّبِيِّ ﷺ أيضًا: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (٣) (٦).

---

(١) (حسن) أخرجه (حم د هـ) وحسنه الألباني في ص.ج ٦٠٧٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٢٣٠.
(٣) (صحيح) أخرجه (حم ك) وصححه الألباني في ص.ج ٥٩٣٩.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) عن الجنة وأهلها: كيف يُقدَّر قَدر دار غَرسها الله بيده وجعلها مقرا لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، و إن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ و الجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة و لبنة من ذهب، و إن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب و فضة لا من الحطب ولا من خشب،وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه و أنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى، وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم و الزنجبيل و الكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب و الفضة في صفاء القوارير، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها، وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه و سرره و قصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها و قبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام، وإن سألت عن غرفها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار، وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير و الذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من إستبرق مفروشة في أعلى الرتب،

وإن سألت عن ارائكها فهي الأسرة مزررة بأزرار الذهب، وإن سألت عن وجوه أهلها و حسنهم فعلى صورة القمر، وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث و ثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين و أعلى منه سماع اصوات الملائكة و النبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين، وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء يسير بهم حيث شاؤوا من الجنان، وإن سألت عن حليهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان، وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون.

* * *

سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد ﷺ<١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، جعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع سيدة نساء العالمين، إنها فاطمة بنت رسول ﷺ سيدة نساء العالمين في زمانها، وكانت تكنى أم أبيها بنت سيد الخلق رسول الله ﷺ، وأم الحسنين، مولدها قبل المبعث بقليل، وتزوجها الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في ذي القعدة، أو قبيله، من سنة اثنتين بعد وقعة بدر، وقال ابن عبد البر: دخل بها بعد وقعة أحد، فولدت له الحسن، والحسين، ومحسنا، وأم كلثوم، وزينب، وروت عن أبيها، وروى عنها ابنها الحسين وجماعة، وروايتها في الكتب الستة، وقد كان النبي ﷺ يحبها ويكرمها ويسر إليها،ومناقبها غزيرة (٢٤).

دفاع فاطمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح مسلم عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ - أي وُضِعَت - جَزُورٌ - أي ناقة- بِالأَمْسِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى سَلاَ جَزُورِ - أي اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة - بَنِي فُلاَنٍ فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفَيْ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَأَخَذَهُ فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ قَالَ:

فَاسْتَضْحَكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ - أي لو كان لي قوة تمنع - طَرَحْتُهُ - أي ألقيته- عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ - أي شابة صغيرة - فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتِمُهُمْ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَتَهُ رَفَعَ صَوْتَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ [1].

فاطمة رضي الله عنها في بيت علي رضي الله عنه:

أخرج أبو يعلى في مسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خطبت إلى النبي ﷺ ابنته فاطمة قال: فباع علي درعا له وبعض ما باع من متاعه فبلغ أربع مئة وثمانين درهما قال: وأمر النبي ﷺ أن يجعل ثلثيه في الطيب وثلثا في الثياب ومج في جرة من ماء فأمرهم أن يغتسلوا به قال: و أمرها أن لا تسبقه برضاع ولدها قال: فسبقته برضاع الحسين وأما الحسن فإن النبي ﷺ صنع في فيه شيئًا لا ندري ما هو فكان أعلم الرجلين[2].

فهلا يسرنا على الشباب نفقات الزواج للحد من العنوسة فنحافظ على مجتمعنا من شيوع البغاء والزنى واللواط، تلك الأمراض التي تهدم المجتمع.

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي:لا شك أن العنوسة هي إحدى المشكلات الكبيرة التي تعانيها مجتمعاتنا العربية والإسلامية عامة، وهي مكمِّلة لمشكلة أخرى، هي مشكلة العزوبة عند الرجال؛ فهما مشكلة واحدة، تعني تأخر الزواج بالنسبة للفتاة والفتى.

والواقع أن هذه الظاهرة لها أسبابٌ كثيرة، منها أن الزواج أصبح يكلِّف كثيراً جدّاً، وهو ما يرهق الشاب، خاصةً في بداية حياته العمليَّة، فمن أين يأتي بتكاليف الزواج الباهظة وهو يخطو الخطوات الأولى في حياته؟! فلابد أن يكون هناك من يساعده على تحمل أعباء الزواج.

والواقع يؤكد أن الناس هم الذين عسَّروا ما يسَّر الله - عزَّ وجلَّ - وعقَّدوا ما سهَّله الشرع؛ فالزواج في الشرع أمرٌ سهلٌ ويسير، ولكنَّ الناس هم الذين عسَّروه وصعَّبوه بما وضعوا من عقبات، وما وضعوا من تكاليف، فأصبح

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٧٩٤.

(٢) (إسناده صحيح) أخرجه (ع) ٣٥٣ وقال حسين سليم أسد إسناده صحيح .

الشاب لا يستطيع تحمل كل نفقات الزواج؛ فيتأخر دوره في عملية الزواج وإقامة أسرة جديدة، كما نجد تشدد الآباء في أمور الزواج؛ فالواقع أن بعض الآباء يتشدَّدون في اختيار شريك حياة ابنتهم، فهو يشترط شروطاً معينة، وكثيراً ما يأتي الخُطَّاب لابنته ويردُّهم، هذا لأنه من طبقة دون طبقته، وهو ما لم يقرُّه ديننا الإسلامي الحنيف؛ فالنبي ﷺ يقول: « إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ »[1].

وهناك أسباب تتعلق بتعليم المرأة؛ حيث يعدُّ إكمال الدراسة من الأسباب الرئيسة التي ساهمت في ظهور العنوسة وتأخُّر زواج الفتيات؛ حيث إن بعض الفتيات يُرِدْنَ إكمال تعليمهنَّ والالتحاق بوظيفة أولاً، وهو ما يؤدي بدوره إلى بقائها في منزل أهلها دون زواج لمدة طويلة".

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهِمَا السَّلَام شَكَتْ مَا تَلْقَى فِي يَدِهَا مِنْ الرَّحَى، فَأَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ فَقَالَ: مَكَانَكِ فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا أَوْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[2]، فهلا تعلمنا من هذا الحديث أن لا نجيب أولادنا في كل ما سألوه ولكن نوجهم إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

وروى الإمام أحمد وغيره عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: جَاءَتْ بِنْتُ هُبَيْرَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي يَدِهَا فَتَخٌ - أي خاتم من ذهب - فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْرِبُ يَدَهَا، فَدَخَلَتْ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَشْكُو إِلَيْهَا الَّذِي صَنَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَانْتَزَعَتْ فَاطِمَةُ سِلْسِلَةً فِي عُنُقِهَا مِنْ ذَهَبٍ وَقَالَتْ: هَذِهِ أَهْدَاهَا إِلَيَّ أَبُو حَسَنٍ - أي زوجها عليَّ - فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالسِّلْسِلَةُ فِي يَدِهَا فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَيَغُرُّكِ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: ابْنَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَفِي يَدِهَا سِلْسِلَةٌ مِنْ نَارٍ»، ثُمَّ خَرَجَ وَلَمْ يَقْعُدْ فَأَرْسَلَتْ فَاطِمَةُ بِالسِّلْسِلَةِ إِلَى السُّوقِ فَبَاعَتْهَا وَاشْتَرَتْ بِثَمَنِهَا

(١) (حسن) أخرجه (ت هق) وصححه الألباني في مختصر الإرواء ١٨٦٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٥٩ ، و(م) ٢٧٢٧ واللفظ للبخاري .

غُلاَمًا، فَأَعْتَقْتُهُ فَحُدِّثَ بِذَلِكَ فَقَالَ: « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْجَى فَاطِمَةَ مِنْ النَّارِ» (١).

مناقب فاطمة رضي الله عنها:

جاء في سنن أبي داود عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدْيًا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَاطِمَةَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا كَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَقَبَّلَتْهُ وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا (٢).

وأخرج الترمذي في سننه عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه رَبِيبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ :{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} [الأحزاب:٣٣]، فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ - أي غطاهم - ثُمَّ قَالَ:«اللهمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا» قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ (٣).

وروى الإمام أحمد وغيره عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، إِلا ابْنَي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَيَحْيَى ابن زَكَرِيَّا وَفَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلا مَا كَانَ مِنْ مَرْيَمَ بنتِ عِمْرَانَ» (٤)، وعنه أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«لا يبغضنا أهل البيت أحد، إلا أدخله الله النار» (٥).

فمما يقره أهل السنة والجماعة ويؤمنون به محبة أهل بيت النبي ﷺ، وإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لما ضربه المعتصم وعذبه وآذاه في ذات الله عز وجل، حتى أنه ضُرب فانفتقت خاصرته وخرجت منها أمعاؤه، وكاد أن يقضى عليه، فجاءه بعض أصحابه وأصفيائه، فقالوا: ادع الله على المعتصم فقال الإمام أحمد: لا أفعل ذلك، فإنني قد استغفرت له، ودعوت

(١) (صحيح) أخرجه (حم ك ن طب طيالسي) وصححه الألباني في صت ٧٧١ .
(٢) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني مش ٤٦٨٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه (ت) ٣٢٠٥ وصححه الألباني .
(٤) (صحيح) أخرجه (حم ع حب طب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٣١٨١.
(٥) (صحيح) أخرجه (ك) وصححه الألباني في س.ص ٢٤٨٨.

الله أن يغفر له لقرابته من رسول الله ﷺ.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الرابع والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٦>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من مبشرات النصر والتمكين انتشار الكتب الإسلامية ونُسخ ترجمة القرآن، فلقد حصل إقبال كبير بعد الأحداث الأخيرة على تفسير القرآن الكريم، ويقدر بعض الخبراء في أمريكا أن الذين يعتنقون الإسلام سنوياً فيها خمسة وعشرون ألف شخص، وأن معدلات اعتناق الإسلام تضاعفت أربع مرات بعد الأحداث الأخيرة؛ ويعود ذلك إلى سعة انتشار الكتب الإسلامية، ونسخ القرآن الكريم المترجمة (ترجمة المعاني) وتزايد الإقبال على شرائه في المكتبات، معارض كتب تنتهي فيها الكتب الإسلامية، تنتهي فيها ترجمات معاني القرآن العظيم، وصارت الكتب الإسلامية تحتل مكانة في قائمة الكتب العشرة الأكثر مبيعاً لدى شركة بيع الكتب عبر الإنترنت:.amazon com، ثم تجد بعد ذلك الإقبال على مواقع الإنترنت الإسلامية من قبل الكفار أنفسهم، والإقبال على المواقع الإسلامية بالملايين سنوياً.

وهكذا صار الإسلام هو الدين الأسرع نمواً لديهم، ونجد إقبالاً من الغربيين على القراءة في كتب الإسلام، والمكتبات أعلنت أنه نفدت عندها النسخ من بعض الكتب الإسلامية، وتقول مديرة إحدى المكتبات في فرنسا: إننا نشهد حالياً بروز جمهور فرنسي جديد تماماً علينا، يبدي اهتماماً خاصاً بشراء ترجمات القرآن الكريم باللغة الفرنسية، ويقبل بكثرة على الكتب المبسطة من نوع: اكتشف الإسلام، أو ما هو الإسلام؟ أو تاريخ الإسلام.

والمواطنون الألمان في الجهة الأخرى فضلوا ألا يكونوا بدورهم أسرى لأجهزة الإعلام - بعضهم على الأقل- ونفدت في مكتبة بوفيث في بون الكتب الإسلامية عندما أقبل عليها الناس وانتشرت ثلاثة أضعاف عن الأيام العادية، وصار من الكتب المرغوبة جداً تفاسير القرآن الكريم باللغة الألمانية، وما يتعلق بالحياة اليومية للمسلم، وما يخص المرأة والعائلة والحياة في الإسلام

وعشرات من المواطنين يتصلون يومياً بالمراكز الإسلامية ويطرحون أسئلة واستفسارات، ويتصلون على مواقع الإنترنت ليسألوا عن أشياء عن الإسلام، مدارس ابتدائية ومتوسطة في بعض الولايات المتحدة تطلب من بعض الطلاب العرب بالجامعات هناك أن يأتوا ويتكلموا ساعة عن الإسلام.وهكذا اعترافات المحللين الغربيين، والمؤرخين المستشرقين، بأن فجر الإسلام قادم، وأن طبيعته في الانتشار عجيبة (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في الكهان ونحوهم)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع، وكانوا قبل المبعث كثيراً، وأما بعد المبعث فإنهم قليل، لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة بما يقع في الأرض من الأخبار، فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن ولياً لله. وهو من أولياء الشيطان.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُمُورًا كُنَّا نَصْنَعُهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ كُنَّا نَأْتِي الْكُهَّانَ قَالَ:«فَلَا تَأْتُوا الْكُهَّانَ» قَالَ: قُلْتُ: كُنَّا نَتَطَيَّرُ قَالَ:«ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ فَلَا يَصُدَّنَّكُمْ»(١).

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي عياض : كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها : يكون للإنسان ولي من الجن يخبره بما يسرقه من السمع من السماء وهذا القسم بطل من حين بعث الله نبينا ﷺ، الثاني:

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٥٣٧.

أنه يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده، الثالث: المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة ما، لكن الكذب فيه أغلب، ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفته بها، وهذه الأضرب كلها تسمى الكهانة، وقد نهى الشرع عن تصديقهم وإتيانهم«ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُهُ أَحَدُكُمْ فِي نَفْسِهِ» معناه أن كراهة ذلك تقع في نفوسكم في العادة ولكن لا تلتفتوا إليه ولا ترجعوا عما كنتم عزمتم عليه قبل هذا.

وروى الطبراني في المعجم الكبير عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ ﷺ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلا فِي عَضُدِهِ حَلْقَةٌ مِنَ صُفْرٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: نُعِتَتْ لِي مِنَ الْوَاهِنَةِ - أي مرض -، قَالَ: أَمَا إِنْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ وُكِلْتَ إِلَيْهَا - أي تركك الله تعالى لتدبير نفسك -، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ وَلا تُطُيِّرَ لَهُ، وَلا تَكَهَّنَ وَلا تُكُهِّنَ لَهُ» أَظُنُّهُ، قَالَ:«أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ» (١).

فكل من تلقى هذه الأمور عمن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله ﷺ لكونها إما شركاً، كالطيرة، أو كفراً كالكهانة والسحر، فمن رضي بذلك وتابع عليه فهو كالفاعل لقبوله الباطل واتباعه (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (تلك هي الجنة <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح) ما مختصره عن نساء الجنة: إن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب، اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، فللورد والتفاح ما لبسته الخدود، و للرمان ما تضمنته النهود، واللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور، وللرقة و اللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت

(١) (صحيح) أخرجه (طب) صححه الألباني في ص. ج ٥٤٣٥.

و يضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة، و يرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها و لا عظمها ولا حللها، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحا ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا و تكبيرا و تسبيحا..ونصيفها على رأسها خير من الدنيا و ما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسنا و جمالا، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالا، مبرأة من الحبل و الولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط و سائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، و لا يمل طيب وصالها قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه. إن نظر إليها سرته، وإن أمرها بطاعته أطاعته، وإن غاب عنها حفظته فهو معها في غاية الأماني والأمان هذا، ولم يطمثها قبله إنس ولا جان، كلما نظر اليها ملأت قلبه سرورا، و كلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤا منظوما ومنثورا، وإذا برزت ملأت القصر، و إن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس و القمر، وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان، وإن سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان، وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان، وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان فأعطين جمال الباطن والظاهر فهن أفراح النفوس قرة النواظر، وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العُرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أيُّ امتزاج، فما ظنك بامراة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة، وإن خاصرته فيا لذة تلك المعانقة و المخاصرة، و إن غنت فيا لذة الأبصار و الأسماع، وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع، و إن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل، وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل.

* * *

سيدة نساء هذه الأمة (فاطمة بنت محمد ﷺ <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع السيرة العطرة لسيدة نساء العالمين، فاطمة رضي الله عنها فهيا بنا.

وفاة النبي ﷺ :

أخرج الشيخان في صحيحيهما والفظ لمسلم عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ سَارَّهَا - أي حدثها سراً- فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلْتُهَا مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَالَتْ: مَا كُنْتُ أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنْ الْحَقِّ لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي «أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ وَإِنِّي لَا أُرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ» قَالَتْ: فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ[1].

من فوائد الحديث:

- حسن لقاء الوالد لولده والولد لوالده.
- الازدياد من العمل الصالح في أواخر العمر.

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٩٢٨ ، و(م) ٢٤٥٠ واللفظ لمسلم.

- حفظ السر أمانة على كل مسلم.

- فاطمة رضي الله عنها بشرها الحبيب بأنها سيدة نساء هذه الأمة.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: وَا كَرْبَ أَبَاهُ فَقَالَ لَهَا: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ» فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ، فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ: يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ؟ (١).

أَبْشِرْ يا كل من ابتلاك الله في دنياك ووفقك الله تعالى للصبر والاحتساب فإن أكثر الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وعما قريب سينتهي كربك وتنعم بجنة الفردوس مع النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَم ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَأَلَتْ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْسِمَ لَهَا مِيرَاثَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ، فَغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حَتَّى تُوُفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ قَالَتْ: وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَسْأَلُ أَبَا بَكْرٍ نَصِيبَهَا مِمَّا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ وَفَدَكٍ وَصَدَقَتَهُ بِالْمَدِينَةِ، فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ عَلَيْهَا ذَلِكَ وَقَالَ: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ إِلاَّ عَمِلْتُ بِهِ فَإِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ، فَأَمَّا صَدَقَتُهُ بِالْمَدِينَةِ فَدَفَعَهَا عُمَرُ إِلَى عَلِيٍّ وَعَبَّاسٍ، وَأَمَّا خَيْبَرُ وَفَدَكٌ فَأَمْسَكَهَا عُمَرُ وَقَالَ: هُمَا صَدَقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَتَا لِحُقُوقِهِ الَّتِي تَعْرُوهُ وَنَوَائِبِهِ، وَأَمْرُهُمَا إِلَى مَنْ وَلِيَ الأَمْرَ قَالَ: فَهُمَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ (٢).

يقول ابن بطة رحمه الله تعالى: هذا يا إخواني الصديق يتخوف على نفسه من الزيغ، إن هو خالف شيئاً من أمر نبيه ﷺ، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وأوامره، ويتباهون بمخالفته ويسخرون بسنته؟

(١) (صحيح)أخرجه (خ) ٤١٩٣.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٢٦ .

فماذا نقول عن زماننا والله المستعان!.

وجاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، قال: لما مرضت فاطمة، أتى أبو بكر فاستأذن، فقال علي: يا فاطمة، هذا أبو بكر يستأذن عليك، فقالت: أتحب أن آذن له، قال: نعم، قلت: عملت السنة ﷺ، فلم تأذن في بيت زوجها إلا بأمره قال: فأذنت له، فدخل عليها يترضاها، وقال: والله ما تركت الدار والمال والأهل والعشيرة إلا ابتغاء مرضاة ورسوله ومرضاتكم أهل البيت، قال: ثم ترضاها حتى رضيت، وهو حديث مرسل (٤٠).

وفاة فاطمة عليها السلام:

جاء في (عيون الأثر) لابن سيد الناس : توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر، أو نحوها، وعاشت أربعا أو خمسا وعشرين سنة، وأكثر ما قيل: إنها عاشت تسعا وعشرين سنة، والأول أصح، وكانت أصغر من زينب، زوجة أبي العاص بن الربيع؛ ومن رقية؛ زوجة عثمان بن عفان.

وقد انقطع نسب النبي ﷺ إلا من قبل فاطمة (٣٠).

فرضي الله عن فاطمة عليها السلام وأرضاها وجعل الفردوس مثواها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك).

* * *

اللقاء الإيماني الخامس والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٧>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين انتصار الإسلام في كافة المواجهات العقدية، فنحن نلاحظ أيضاً انتصار الإسلام في كافة المواجهات العقدية كما حصل بين ديدات و سوقر على سبيل المثال، ليس هناك منازلة دخلها عالم مسلم، أو فقيه مسلم، أو طالب علم متمكن، أو داعية متمكن إلا هَزَمَ الذي أمامه، مهما كان من القوة والخبرة والسن والإمكانات والبلاغة إلى آخره، ولا توجد معركة حجة وبيان دخلها مسلم متمكن إلا وانتصر فيها، فما معنى ذلك؟!!

ثم إن هناك مطالبة بالزي الإسلامي، والذبح الحلال، وانتشار الحجاب، واسترجاع الهويات الإسلامية، حتى من أناس قد كانوا ضاعوا هناك، ترتفع شعبيات إذاعات القرآن الكريم، إقبال في مواسم الطاعة عجيب، امتلاء المساجد، الإسلام دين الفطرة، إنه لأمر غريب جداً أن تقبل أبعد النساء عن الدين إلى التوبة مثل الفنانات والممثلات!

إنه شيء غريب فعلاً، هذا التحول الكبير! حتى صار يخشى على حلبات الفن ألا يوجد فيها أحد يمثل أو يغني، ولا بد من دفع أناس جدد كثيرين كما تقتضي الخطة العفنة لسد فراغ الفنانات التائبات والمغنيات.

وتناقش قضية حجاب المذيعات في القنوات، وتضطر القنوات الفضائية إلى استضافة مزيد من المشايخ، وفتح مزيد من البرامج عن الإسلام (١٥).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في النشرة)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأَكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده

ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، حيث إن السحر موجود، ومن النّاس من يُبتلى به ويقع عليه السحر ويتضرّر به، فلابد أن نعرف ما هو الدواء الصحيح للسحر؟ الدواء الذي لا يمس العقيدة، ونعرف أيضاً ما يخالف العقيدة فنتجنّبه، والنُّشرة كما فسّرها الإمام ابن القيم: حلّ السحر عن المسحور. وهي ضرب من العلاج، سمي نشرة: لأنه يُنشر به، أي: يزال ما أصاب المريض وما خامره من الداء.

أخرج أبو داود في السنن عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنُ النُّشْرَةِ - أي النُّشرة المعهودة في الجاهلية، وهي التي كانت من عمل الشيطان - فَقَالَ:«هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» لأنها سحر، والسحر من عمل الشيطان (١).

وقال الإمام ابن القيم: "النُّشرة: حلّ السحر عن المسحور، وهي ثلاثة أنواع:

الأول: حلٌّ بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، فيتقرّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب؛ فيبطل عمله عن المسحور. فهذا هو الممنوع، فلا يجوز لمن أصابه السحر أن يذهب إلى السحرة.

الثاني: النُّشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة؛ فهذا جائز.

الثالث: حلّ السحر بغير السّحر ممّا أباحه الله ﷻ، فالله ما أنزل داء إلاّ أنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله (٣١).

ونذكر بعضاً من النُّشرة بالرقية والتعوذات والدعوات المباحة: " أعيذك بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلَق "، أُعيذك بكلمات الله التامّة من كلّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة "، " أُعيذك بكلمات الله التّامّات التي لا يجاوزهنّ بَرّ ولا فاجر، من شرّ ما خلق وذَرَأ وبرأ، ومن شرّ طوارق اللّيل والنهار، إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن "، " باسم الله أرقيك، من كلّ داء يؤذيك، من شر كلّ نفس وعين حاسد، الله يشفيك "، " باسم الله، أذهب البأس ربّ النّاس، واشفه أنت الشّافي لا شفاء إلاّ شفاؤُك، شفاء لا يغادر سقماً" ربّنا الله الذي في السّماء، تقدّس اسمك، أمرُك في السماء والأرض كما

(١) (صحيح) أخرجه (د) وصححه الألباني في مش ٤٥٥٣.

رحمتك في السماء، اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت ربّ الطيّبين، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا المرض. فيبرأ بإذن الله ". (٦).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة(تلك هي الجنة <٣>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، يقول الإمام ابن القيم في كتاب (حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح) ما مختصره عن رؤية العزيز الغفار: وإن سألت عن يوم المزيد، وزيادة العزيز الحميد، ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل و التشبيه كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه، وذلك موجود في الصحاح و السنن و المسانيد من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد، فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون: سمعا وطاعة وينهضون إلى الزيارة مبادرين، فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرعين، حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعدا و جمعوا هناك، فلم يغادر الداعي منهم أحدا أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه، فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور و منابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب ومنابر من فضة وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء على كثبان المسك، وما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم أماكنهم نادى المنادي: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا و يثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم، فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا

الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعونه منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا فيقول: يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي، هذا يوم المزيد فاسألوني فيجتمعون على كلمة واحدة: أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لو لا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة، حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول: يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه، فيا لذة الأسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة، ويا ذلة الراجعين بالصفقة الخاسرة،{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ(٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)} [القيامة: ٢٢-٢٥].

* * *

ثاني أمهات المؤمنين (سودة بنت زمعة ﵂)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله: نحن اليوم مع السيرة العطرة لثاني أمهات المؤمنين سودة بنت زمعة ﵂ فهيا بنا.

زواج النبي ﷺ بسودة ﵂ :

جاء في المعجم الكبير للطبراني عن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ : لَمَّا تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ، قَالَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمِ بن الأَوْقَصِ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ، وَذَلِكَ بِمَكَّةَ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَزَوَّجُ؟، قَالَ:مَنْ؟، قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ:«وَمَنِ الثَّيِّبُ؟»، قَالَتْ: سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ، قَدْ آمَنَتْ بِكَ وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ:«فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهَا عَلَيَّ» فَخَرَجْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى سَوْدَةَ، فَقُلْتُ: يَا سَوْدَةُ، مَاذَا أَدْخَلَ الله عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟، قَالَتْ: وَمَا ذَاكِ؟، قَالَتْ: أَرْسَلَنِي

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُكِ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ: وَدِدْتُ، فَادْخُلِي عَلَى أَبِي وَاذْكُرِي ذَلِكَ لَهُ، قُلْتُ: وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَقَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْحَجِّ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَحَيَّيْتُهُ بِتَحِيَّةِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، ثُمَّ قَالَتْ: إِنَّ مُحَمَّدَ بن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَرْسَلَنِي أَخْطُبُ عَلَيْهِ سَوْدَةَ، فَقَالَ: كُفُؤٌ كَرِيمٌ، فَمَاذَا تَقُولُ صَاحِبَتُكِ؟، قَالَتْ: تُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: فَادْعِيهَا إِلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ سَوْدَةُ، رَفَعَتْ هَذِهِ أَنَّ مُحَمَّدَ ابن عَبْدِ اللَّهِ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَخْطُبُكِ وَهُوَ كُفُؤٌ كَرِيمٌ، أَفَتُحِبِّينَ أَنْ أُزَوِّجَهُ؟، قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَادْعِيهِ لِي، فَدَعَوْتُهُ فَجَاءَ فَزَوَّجَهَا [1].

ولعل الحكمة في اختيارها أنها كانت من المؤمنات الهاجرات لأهليهن خوفَ الفتنة، ولو عادت إلى أهلها بعد وفاة زوجها لعذبوها وفتنوها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى (٦٤).

حياة سودة مع النبي:

قد كانت سودة ﵂ أول من تزوج بها النبي ﷺ بعد وفاة خديجة ﵂ ومكثت عنده نحوا من ثلاث سنوات حتى تزوج عائشة ﵂.

وكانت تحاول قدر طاقتها أن تملأ هذا البيت المبارك راحة وسرورا وسعادة فكانت تخفف عن رسول الله ﷺ ما كان يلقاه من اضطهاد المشركين وكان تحدثه عن ذكرياتها في بلاد الحبشة وتكثر من أخبار ابنته رقية وزوجها عثمان ابن عفان لأنها تعلم أن رسول الله ﷺ كان يحب أن يعرف أخبارهما ويسعد بسيرهما وهكذا كانت تبحث على ما يدخل السرور على نفسه ﷺ (٥).

إيثار سودة لعائشة ﵂:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، وَكَانَ يَقْسِمُ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا غَيْرَ أَنَّ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا وَلَيْلَتَهَا لِعَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ تَبْتَغِي بِذَلِكَ رِضَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [2].

الفوائد من هذا الحديث:

---

(١) (رجاله ثقات) أخرجه (طب) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢٨٦ ورجاله رجال الصحيح غير محمد ابن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث.

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٤٥٣.

قال الإمام ابن القيم في (زاد المعاد): إذا أراد الزوج السفر لم يجز أن يسافر بإحداهن إلا بقرعة، وقال: إنه لا يقضي للبواقي إذا قدم، فإن رسول الله ﷺ لم يكن يقضي للبواقي، وفي هذا ثلاثة مذاهب :

أحدها : أنه لا يقضي سواء أقرع أو لم يقرع وبه قال أبو حنيفة ومالك.

والثاني : أنه يقضي للبواقي أقرع أو لم يقرع وهذا مذهب أهل الظاهر.

والثالث : أنه إن أقرع لم يقض وإن لم يقرع قضى وهذا قول أحمد والشافعي.

ومنها : أن للمرأة أن تهب ليلتها لضرتها وللواهبة أن ترجع متى شاءت هذا ما لم يكن صلحاً بينهما كما لو كره الزوج المقام معها أو عجز عن حقوقها أو بعض حقوقها فخيرها بين الطلاق وبين المقام معه على أن لا حق لها في القسم والوطء والنفقة أو في بعض ذلك بحسب ما يتفقان عليه، فإن رضيت بذلك لزم وليس لها المطالبة بعد الرضى وليس لها الرجوع بعد ذلك فإن هذا الصلح جرى مجرى المعاوضة وهذا هو الصواب الذي لا يسوغ غيره.أ.هـ.

وأخرج أبو داود في سننه عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: يَا ابْنَ أُخْتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يُفَضِّلُ بَعْضَنَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْقَسْمِ مِنْ مُكْثِهِ عِنْدَنَا وَكَانَ قَلَّ يَوْمٌ إِلاَّ وَهُوَ يَطُوفُ عَلَيْنَا جَمِيعًا فَيَدْنُو مِنْ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْ غَيْرِ مَسِيسٍ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى الَّتِي هُوَ يَوْمُهَا فَيَبِيتَ عِنْدَهَا، وَلَقَدْ قَالَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ حِينَ أَسَنَّتْ وَفَرِقَتْ أَنْ يُفَارِقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمِي لِعَائِشَةَ فَقَبِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا قَالَتْ: نَقُولُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى وَفِي أَشْبَاهِهَا أُرَاهُ قَالَ{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً} [النساء:١٢٨] (١).

من فوائد الحديث قال الإمام ابن القيم رحمه الله : أن الرجل له أن يدخل على نسائه كلهن في يوم إحداهن ولكن لا يطؤها في غير نوبتها، وأن لنسائه كلهن أن يجتمعن في بيت صاحبة النوبة يتحدثن إلى أن يجيء وقت النوم فتؤوب كل واحدة إلى منزلها.

مسابقة سودة رضي الله عنها لطاعة رسول الله ﷺ :

(١) (حسن) أخرجه (د) وحسنه الألباني في س.ص ١٤٧٩ .

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: نَزَلْنَا الْمُزْدَلِفَةَ فَاسْتَأْذَنَتْ النَّبِيَّ ﷺ سَوْدَةُ أَنْ تَدْفَعَ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ - أي زحمتهم- وَكَانَتْ امْرَأَةً بَطِينَةً فَأَذِنَ لَهَا فَدَفَعَتْ قَبْلَ حَطْمَةِ النَّاسِ وَأَقَمْنَا حَتَّى أَصْبَحْنَا نَحْنُ ثُمَّ دَفَعْنَا بِدَفْعِهِ فَلَأَنْ أَكُونَ اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَمَا اسْتَأْذَنَتْ سَوْدَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَفْرُوحٍ بِهِ - أي ما يفرح[1].

من فوائد الحديث: أن الزوجة المؤمنة ينبغي أن تستأذن زوجها قبل أن تفعل، فهذا من السنة، كما يجوز للنساء والضعفة الخُروج من مُزْدَلِفَة في النصف الأخير؛ لأن النبي ﷺ رخَّص للنساء والضعفة، قبل الازدحام.

جودها وكرمها :

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن ابن سيرين، أن عمر بعث إلى سودة بغرارة دراهم، فقالت: ما هذه؟ قالوا: دراهم، قالت: في الغرارة مثل التمر؛ يا جارية: بلغيني القنع، ففرقتها[2].

فهلا تعلمت نساؤنا الإنفاق من مال الله كما كانت زوجات النبي ﷺ يفعلن، فلقد حث رسول الله النساء بأن يتصدقن، فلقد روى الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﵄، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ»، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»، قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي، وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ»[3].

وفاتها :

جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد أن سودة بنت زمعة ﵂ توفيت في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة في خلافة معاوية.

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٥٩٧ .

(٢) (رجاله ثقات) أخرجه (بن سعد) ٨ /٥٦ وقال شعيب الأرنؤوط رجاله ثقات.

(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٨ ، و(م) ٧٩ واللفظ لمسلم .

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني السادس والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٨>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين اعتراف الأعداء بصحة الأحكام الإسلامية، نجد كذلك من الأشياء التي ترفع معنوياتنا وتعطينا الثقة أكثر: أنهم يعترفون من خلال أبحاثهم وكتاباتهم بصحة أحكام الشريعة الإسلامية، حتى إن جوستاف لوبون يقول: إن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم، ويزيد الأسر ارتباطاً، لا تعدم امرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجاً يتكفل بشئونها، والمتزوجات عندنا - هو يقول- نفر قليل وغيرهن لا يحصين عدداً، اعترفوا حتى بالأشياء التي حرمت عندنا في شريعتنا ونسخت كل الشرائع: أن لحم الخنزير ضار؛ لاحتوائه على البوليك بشكل مكثف، وأنه عسير الهضم، وأن من كل مائة رطل من لحم الخنزير يوجد خمسون رطلاً من الدهن، بينما في الضأن (١٧%) وفي العجول (٥%) وثبت بالتحليل احتواؤه على نسب كبيرة من الأحماض الدهنية المعقدة، ومن الكليسترول الضار أيضاً. اعترفوا بمنافع السواك، اعترفوا أن الوضوء والاستنشاق حلٌ لقضية التهاب الجيوب الأنفية، وأن الوضوء يقي من الأمراض الجلدية، وأن الصوم فيه صحة، وأن كثرة تعرض جسد المرأة للشمس وانكشافه للجو يزيد نسبة سرطان الجلد عندها، وهناك كتب عندهم: التداوي بالصيام لـ شلتن، الصوم الطبي النظام الغذائي الأمثل ألن كوت، وهناك لوحة كبيرة في مستشفى ألماني مكتوب باللغة الألمانية: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[1].

وهكذا اكتشفوا بأن الاختلاط ضار، وأن منع الاختلاط هو الصحيح، وتبنى الرئيس الأمريكي قرار البروفيسور إميليو إفانيو رجل القانون المتخصص في

(١) (صحيح) أخرجه (ك ت هـ حم) وصححه الألباني في ص.ج ٥٦٧٤.

النظام التربوي في أمريكا بالدراسات التي تؤكد أن الفصل بين الجنسين في المجال الدراسي يساعد على اجتياز الفتيات والفتيان بصورة أفضل، وأن الأولاد يفضلون الدراسة في الفصول غير المختلطة، وكذلك الفتيات؛ حتى لا يضطررن إلى التزين قبل الذهاب إلى المدرسة؛ لأنه يضيع وقتهن، ويعرقل تقدمهن الدراسي.

وهكذا قامت لديهم كليات ومدارس مدعومة بالفصل بين الجنسين (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في التطير)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد..

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ أَنَس ﷺ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ، الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» (١).

إخوتي في الله، لقد اختلف العلماء في ذلك، وأحسن ما قيل فيه: لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تعدي بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية. لذلك ينبغي اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره، والطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، والفأل شيء يسمعه الإنسان أو يراه فيفرح به ويسر ولا يرده عن حاجته كما قال النبي ﷺ لما جاء سهيل ابن عمرو قال (سهل أمركم).

وروى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٤٢٤ ، و(م) ٢٢٢٤ واللفظ لمسلم.

قَالَ: أَن يَقُولَ أَحَدُهُمْ اللهمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» (١).

وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته التي عزم عليها كإرادة السفر ونحوه، ودخله التشاؤم، فقد دخل في الشرك، فإذا قال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك وأعرض عما وقع في قلبه، كَفَّرَ الله عنه ما وقع في قلبه (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (في الجنة جنتان من ذهب وجنتان من فضة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (٢).

وقال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ(٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ(٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ(٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥١) فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ(٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ(٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ(٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ(٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٣) مُدْهَامَّتَانِ(٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٥) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ(٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ(٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧١) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ(٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٣) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ

(١) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في س.ص ١٠٦٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٨٧٨ ، و(م) ١٨٠.

وَلَا جَانٌّ(٧٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ(٧٥) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٦)} [الرحمن ٤٦-٤٦].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في (حادي الأرواح): السياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه: أحدها: قوله:{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن، والثاني: أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما، الثاني: قوله: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} وفي الأخريين:{فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ} والنضاخة هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان، الثالث: أنه قال:{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}وفي الأخريين:{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}.

ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس والله أعلم، الرابع: أنه قال:{مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}وفي الأخريين قال:{مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} وفسر الرفرف بالبسط وفسر بالفرش فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين، الخامس: أنه قال:{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤوا ولم يذكر ذلك في الآخريين، السادس: أنه قال:{فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال في الأخريين:{حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها، السابع: أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وأشراقه وحسنه:{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} ولم يذكر ذلك في التي بعدها، الثامن: أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين:{هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل، التاسع: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزءا لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء، العاشر: أنه قال:{وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ} والسياق يدل على أنه نقيض فوق (١٦).

* * *

امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق ﵂ <١>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة، نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق، الطاهرة المطهرة التى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة ﵂ بنت أبي بكر الصديق، وأمها الصحابية الجليلة أم رومان بنت عامر، وأختها لأبيها أسماء ذات النطاقين، وعقد عليها رسول الله ﷺ - قبل الهجرة بسنة، ودخل عليها بعد الهجرة بسنة أو سنتين وقُبِضَ عنها الرسول الكريم وهي بنت ثمان عشرة سنة، وعاشت ستًا وستين سنة، وحفظت القرآن الكريم في حياة الرسول وروت عن النبي ﷺ- ألفي حديث ومائتين وعشرة أحاديث (٥٠).

الرؤيا المباركة :

جاء في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ أَرَى أَنَّكِ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ» وَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ فَاكْشِفْ عَنْهَا، فَإِذَا هِيَ أَنْتِ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ» (١).

خطبة رسول الله ﷺ لعائشة ﵂ :

أخرج الطبراني في المعجم الكبير عَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: لَمَّا تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ، قَالَتْ خَوْلَةُ بنتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بن مَظْعُونٍ وَذَلِكَ بِمَكَّةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلا تَزَوَّجُ؟، قَالَ: مَنْ؟، قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْرًا، وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا، قَالَ: «فَمَنِ الْبِكْرُ؟»، قَالَتْ: ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْكَ، عَائِشَةُ بنتُ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: «وَمَنِ الثَّيِّبُ؟»، قَالَتْ: سَوْدَةُ بنتُ زَمْعَةَ، آمَنَتْ بِكَ، وَاتَّبَعَتْكَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ، فَجَاءَتْ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ، فَوَجَدَتْ أُمَّ رُومَانَ أُمَّ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أُمَّ رُومَانَ، مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَتْ: وَدِدْتُ، انْتَظِرِي أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّهُ آتٍ،

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٣٨.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ؟ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَخْطِبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ، قَالَ: هَلْ تَصْلُحُ لَهُ وَإِنَّمَا هِيَ بنتُ أَخِيهِ؟، فَرَجَّعَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «ارْجِعِي إِلَيْهِ، فَقُولِي لَهُ: أَنْتَ أَخِي فِي الإسلام، وَأَنَا أَخُوكَ، وَابْنَتُكَ تَصْلُحُ لِي»، فَأَتَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ لِخَوْلَةَ: ادْعِي لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَ فَأَنْكَحَهُ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ ابْنَةُ سِتِّ سِنِينَ [1]، ولعل الحكمة من زواج رسول الله ﷺ بها إكرام صديقه ووزيره أبي بكر الصديق ﷺ (٦٤).

أحب الناس لرسول الله ﷺ كانت عائشة ﷺ :

أخرج الشيخان في صحيحيهما عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا. قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالاً[2].

وجاء في صحيح مسلم عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِي فِي مِرْطِي فَأَذِنَ لَهَا فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ وَأَنَا سَاكِتَةٌ قَالَتْ: فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيْ بُنَيَّةُ أَلَسْتِ تُحِبِّينَ مَا أُحِبُّ؟» فَقَالَتْ: بَلَى قَالَ: فَأَحِبِّي هَذِهِ قَالَتْ: فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَجَعَتْ إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَ لَهَا: مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ فَارْجِعِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولِي لَهُ: إِنَّ أَزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ الْعَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ فَقَالَتْ: فَاطِمَةُ وَاللَّهِ لاَ أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا [3].

أخي في الله، يجب أن تحافظ على قوامة الرجل فإذا عاتبته اختل به، وقل له: يا فلان هذا لا يجوز، أنت أخذت ابنتي بكلمة الله، واستحللتها بأمانة الله، فلا يحل لك أن تفعل كذا وكذا وكذا؛ ولاتعاتبه أمام زوجته (٦٣).

غيرة عائشة ﷺ على رسول الله ﷺ :

---

(١) (حسن الإسناد) أخرجه (طب) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٢٨٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٤٦٢ و(م) ٢٣٨٤.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٤٢.

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ - أي إناء مبسوط - فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ وَيَقُولُ: **«غَارَتْ أُمُّكُمْ»**، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ [1].

لا صراخ ولا تهديد ولا وعيد، فسبحان من أدّب نبيه فأحسن تأديبه، فلقد كان النبي ﷺ يتعاهد أزواجه، ويصبر على ما قد يُثِرْنه من المشكلات التي تقع في بيوته، ناهيكم عما ورد من أقواله الكثيرة في وجوب إحسان عشرة الزوجات وتحمّل أذاهنّ، فقد كان كثيرًا ما يوصي بهن، ويبين حقوقهن، وينهى عن ظلمهن، لذا يجب الصبر على الطبائع المتأصلة في المرأة مثل الغيرة. كما قال ﷺ: **«غَارَتْ أُمُّكُمْ»**، وليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، ومن أراد السعادة في حياته العملية والزوجية فليتق الله ربه وليقتد بنبيه.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٩٢٧.

اللقاء الإيماني السابع والثلاثون:

(من بشائر النصر والتمكين <٩>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين أن مصير الإسلام ليس مربوطاً بأحد، فالإسلام كالشمس إن غربت في جهة طلعت من أخرى، وإن مات فرد من أفراده أقام الله من المسلمين من يجبر النقص ويسد الثغرة: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [الصف:٨].

إنَ هذه الأمة قادرة بإذن الله على تعويض النقص الذي يطرأ عليها، ولقد تبدلت أحوال وبقيت هذه الأمة، لو أن أمةً أخرى شنت عليها الغارات التي شنت على هذه الأمة لاندثرت منذ زمن بعيد، ومع ذلك فإن مصير الإسلام غير مربوط برجال أو أفراد معينين، ولا جماعات معينة، إنه دين أنزله الله ليبقى لا ليندثر ولا لينمحي، إن هذه الأمة معطاءة ولود، إذا سكت منها صوت خَلَفَهُ أصوات، وإذا مات خطيب خَلَفَهُ خطباء، وإذا استشهد مجاهدٌ خَلَفَهُ من يحمل الراية ويهاجم الأعداء، وهذا وعد الله على لسان رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» [١]، أي يحيي ما اندرس من الدين ويعيده صافياً نقياً، وبين رسول الله ﷺ أن الله يجعل في الأجيال من يقوم بالدين فَقَالَ: «لَا يَزَالُ اللهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي طَاعَتِهِ» [٢].

إذن هناك شباب قادمون وأجيال ستأتي، غرس يغرسه الله ﷻ: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد:٣٨]، الطائفة المنصورة منصورة باقية لا تهزم: فَعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ» [٣] (٤٧).

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (د ك هق خط) وصححه الألباني في ص.ج ١٨٧٤.
(٢) (حسن) أخرجه (هـ حم) وحسنه الألباني في ص.ج ٧٦٩٢.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٢٠.

على درب التوحيد (ما جاء في التنجيم)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، قال البخاري في صحيحه في المعلقات: قَالَ قَتَادَةُ{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلاَثٍ جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَعَلاَمَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ.

فتأمل ما أنكره هذا الإمام مما حدث من المنكرات في عصر التابعين، وما زال الشر يزداد في كل عصر بعدهم حتى بلغ الغاية في هذا العصر، وعمت به البلوى، وقوله: خلق الله هذه النجوم لثلاث ومصداقا لذلك قال تعالى:{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك:٥]، وقال تعالى:{وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل:١٦]، أي دلالات على الجهات يهتدي بها الناس في ذلك. كما قال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام:٩٧]، أي لتعرفوا بها جهة قصدكم، وليس المراد أن يهتدي بها في علم الغيب.

وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بإبطال علم التنجيم، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ» [1]. قال ابن رجب رحمه الله تعالى: والمأذون في تعلمه التسيير لا علم التأثير فإنه باطل محرم، قليله وكثيره، وأما علم التسيير فيتعلم ما يحتاج إليه منه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق وهو جائز عند الجمهور (٣١).

* * *

(١) (صحيح) أخرجه (حم د هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٧٤.

مشاهد من الدار الآخرة (أول من يدخل الجنة من الأنبياء والأمم)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله: لقد بين رسول الله ﷺ لأمته، أول من يدخل الجنة من الأنبياء ومن الأمم، جاء في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ فَيَقُولُ الْخَازِنُ، مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١).

وأخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ - أي نصف - أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ(٢).

وأخرج الإمام أحمد وغيره عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ»(٣).

وأخرج البخاري عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :«لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ شَكَّ فِي أَحَدِهِمَا مُتَمَاسِكِينَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حَتَّى يَدْخُلَ أَوَّلُهُمْ وَآخِرُهُمْ الْجَنَّةَ وَوُجُوهُهُمْ عَلَى ضَوْءِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»(٤).

* * *

إمرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق ﵂ <٢>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا

---

(١) (صحيح) أخرجه (م) ١٩٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦١٦٣ ، و (م) ٢٢١ واللفظ لمسلم .
(٣) (صحيح) أخرجه (حم ت هـ حب ك) وصححه الألباني في ص.ج ٢٥٢٦.
(٤) (صحيح) أخرجه (خ)٦١٧٧.

قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله: ما زلنا مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق، الطاهرة المطهرة التى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة ﵂ بنت أبي بكر الصديق.

حادثة الإفك:

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزَاةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَهُ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ وَأُنْزَلُ فِيهِ فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ - أي رجع- وَدَنَوْنَا مِنْ الْمَدِينَةِ آذَنَ - أي أعلم - لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ - أي خرجت من معسكرهم وابتعدت- فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي - أي حاجتي- أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ أَظْفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ - أي أخرني طلبه والبحث عنه -، فَأَقْبَلَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَثْقُلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وَإِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنْ الطَّعَامِ - أي القليل من الطعام الذي يسد الجوع-، فَلَمْ يَسْتَنْكِرْ الْقَوْمُ حِينَ رَفَعُوهُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ، فَاحْتَمَلُوهُ وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ - أي ذهب ومضى- الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنْزِلَهُمْ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ، فَأَمَمْتُ مَنْزِلِي - أي قصدت مكاني الذي كنت فيه -الَّذِي كُنْتُ بِهِ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونَنِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ - أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون- حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ يَدَهَا - أي وضع قدمه على يد الراحلة ليسهل الركوب عليها - فَرَكِبْتُهَا فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ - أي نزلوا للاستراحة- فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ - أي وقت الظهيرة- فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الْإِفْكَ - أي الذي ابتدأ للحديث عنه - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا - أي مرضت فيها - شَهْرًا

وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ - أي يكثرون- مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ وَيَرِيبُنِي - أي يشككني- فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَرَى مِنْ النَّبِيِّ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: كَيْفَ تِيكُمْ - أي إشارة للمؤنث -؟» لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى نَقَهْتُ - أي شفيت - فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ مُتَبَرَّزُنَا - أي المكان الذي نخرج فيه لقضاء حاجتنا- لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ - أي أماكن قضاء الحاجة- قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوْ فِي التَّنَزُّهِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمٍ نَمْشِي فَعَثَرَتْ فِي مِرْطِهَا - أي كساء يلتحف به أو يأتزر به - فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ: لَهَا بِئْسَ مَا قُلْتِ: أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ: يَا هَنْتَاهْ - أي نداء للبعيد إشارة عن بعدها عن معرفة الأحداث - أَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالُوا: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ فَقَالَ:«كَيْفَ تِيكُمْ - أي إشارة للمؤنث -؟ فَقُلْتُ: ائْذَنْ لِي إِلَى أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ - أي جميلة حسنة من الوضاءة وهو الحسن- عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلاَّ أَكْثَرْنَ عَلَيْهَا - أي في عيبها ونقصها- فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَلَقَدْ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَذَا قَالَتْ: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ - أي أبطأ - الْوَحْيُ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ لَهُمْ فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقْ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ وَسَلْ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ - أي خادمة عائشة رضي الله عنها فَقَالَ: يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ فِيهَا شَيْئًا يَرِيبُكِ؟ فَقَالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ مِنْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ الْعَجِينِ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا، وَمَا كَانَ

يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنْ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنْ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - أي أغضبه التعصب لقومه وحمله على الجهالة-، فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا - أي تناهضوا للنزاع وقصدوا المحاربة - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ - أي تلطف بهم حتى سكتوا - حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي قَالَتْ: فَبَيْنَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي إِذْ اسْتَأْذَنَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْمِ قِيلَ فِيَّ مَا قِيلَ قَبْلَهَا، وَقَدْ مَكَثَ شَهْرًا لاَ يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي شَيْءٌ قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: لِأُمِّي أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لاَ أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ سَمِعْتُمْ مَا يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ وَوَقَرَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنِّي لَبَرِيئَةٌ لاَ تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلاَّ أَبَا يُوسُفَ إِذْ قَالَ: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف:١٨]، ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّهُ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيًا وَلأَنَا أَحْقَرُ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ - أي العرق الشديد-، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ - أي قطرات اللؤلؤ - مِنْ الْعَرَقِ فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَلَمَّا

سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: «يَا عَائِشَةُ احْمَدِي اللهَ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللهَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} [النور:١١]، الْآيَاتِ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ مَا قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: ٢٢]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ الَّذِي كَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتِ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلاَّ خَيْرًا قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ (١).

من الفوائد المستنبطة من حادثة الإفك :

١- ظهرت بشرية الرسول ﷺ ونبوته، فلو كان الوحي أمراً ذاتياً غير منفصل عن شخصية الرسول ﷺ لما عاش الرسول ﷺ تلك المحنة بكل أبعادها شهراً كاملاً، حتى أنزل الله تعالى براءة عائشة ﵂ لما نسب إليها.

٢- عندما وقعت حادثة الإفك أراد المولى عز وجل أن يشرّع بعض الأحكام التي تسهم في المحافظة على أعراض المؤمنين ولذلك نزلت سورة النور، التي تحدثت عن حكم الزاني والزانية، وعن قبح فاحشة الزنا، وعما يجب على الحاكم أن يفعله إذا ما رمى أحد الزوجين صاحبه، وعن العقوبة التي أوجبها الله على الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى غير ذلك من الأحكام (٢٦).

٣- ظهر إيمان أبي بكر ﷺ عندما امتثل لأمر الله تعالى بإعادة نفقة مسطح بعد ما كان منه، وكذا تقوى أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ لقولها الحق.

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٥١٨.

٤- من حسن إسلام المرء عدم ترديد الشائعات لما لها من الأثر السيء على المسلمين، فالسكوت أسلم.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثامن والثلاثون:

من بشائر النصر والتمكين <١٠>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، أليست هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس؟!

أليست هذه الأمة أمة مرحومة؟!

أليست هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة؟!

أليست هذه الأمة محفوظة بحفظ الله لا تهلك بغرقٍ عام، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستأصلهم عن آخرهم؟!

أليست هذه الأمة من أول الأمم دخولاً الجنة؟!

ألسنا الآخرين السابقين يوم القيامة، الآخرين زماناً السابقين يوم القيامة؟!

ألم نفضل بيوم الجمعة، والتأمين خلف الإمام، والتحية بالسلام، وأن صفوفنا على صفوف الملائكة؟!

ألسنا ثلثي أهل الجنة؟!

أليس يبعث الله على كل رأس مائة سنة واحداً منا يجدد لنا الدين، أو جماعة يجددون الدين يعدهم بالنصر والتمكين؟!

أليس الوعد من النبي عليه الصلاة والسلام حاصلاً والدليل قول رسول الله ﷺ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الإسلام وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ» (١).

إذاً فإن هذه الأمة لا يمكن أن تجتث ولا أن تهزم، ولو ضربوها بالقنابل الذرية والنووية، ولو مسحوا مدناً وأبادوا أهلها، ولو هجَّروا أهل فلسطين منها كما يريدون في مخططهم الجديد المزعوم فإن الله تعالى سيقيض من هذه الأمة من يهزمهم حتماً، ومن يموت على نية حسنة يموت شهيداً ويذهب إلى جنةٍ

(١) (صحيح) أخرجه (حم طب ك) وصححه الألباني في س.ص ٣.

عرضها السماوات والأرض، ومن يبقى وهو ملازم لأمر الله سبحانه وتعالى؛ فإنه يعيش كبيراً ويموت كبيراً لأجل عظم الغاية التي يعيش من أجلها.

أيها الإخوة! إن هذه الكلمات لرفع المعنويات والإثبات بالأدلة الشرعية، وبالواقع العملي أن الإسلام هو القوة القادمة، وأن النصر له لا شك ولا ريب، ولكن لا يجوز الاتكال على الشرف، ونقول: سننصر بدون سبب، فلا بد من العمل، فلقد قال رسول الله ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، وقال الله تعالى: {وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد:٣٥] (٤٧).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في الاستسقاء بالنجوم وبالأنواء)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، كانت العرب يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمى نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق، أي نهض وطلع.

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَقَالَ: «قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللهِ وَبِرِزْقِ اللهِ وَبِفَضْلِ اللهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي»[1].

فإذا قال قائلهم: مطرنا بنجم كذا أو بنوء كذا. فلا يخلو إما أن يعتقد أن له تأثيراً في إنزال المطر فهذا شرك وكفر وهو الذي يعتقده أهل الجاهلية، وإما أن يقول: مطرنا بنوء كذا مثلا، لكن مع اعتقاده أن المؤثر هو الله وحده. لكنه أجرى العادة بوجود المطر عند سقوط ذلك النجم، والصحيح: أنه يحرم نسبة

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٩١٦ و(م) ١٢٥ واللفظ للبخاري.

ذلك إلى النجم ولو على طريق المجاز، وذلك أن القائل لذلك نسب ما هو من فعل الله تعالى الذي لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على شيء، فيكون ذلك شركاً أصغر والله أعلم.

قوله: «مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر لأنه أشرك في الربوبية والمشرك كافر. وإن لم يعتقد ذلك فهو من الشرك الأصغر، لأنه نسب نعمة الله إلى غيره، ولأن الله لم يجعل النوء سبباً لإنزال المطر فيه، وإنما هو فضل من الله ورحمته يحبسه إذا شاء وينزله إذا شاء(٣١).

ويقول فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى أن علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير، وهو أن يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، فهذا محرم باطل لقول النبي ﷺ : «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنْ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنْ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ »[1]، و لقول النبي ﷺ في حديث زيد بن خَالد : « من قال مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي»، ولقول النبي ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ »[2]، فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثاني: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات، فهذا جائز، وقد يكون واجباً أحياناً، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر، قال تعالى:{وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) } [النحل: ١٥]، فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية، فقال تعالى: { وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) } [النحل: ١٦]، فالاستدلال بهذه النجوم على الفصول وأوقات البذر والحصاد والغرس وما أشبهه، فهذا من الأمور المباحة، لأنه يستعان بذلك على أمور دنيوية، وكذلك لمعرفة أوقات الصلوات وجهات

(١) (صحيح) أخرجه (حم د هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٧٤.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٩٩٣ .

القبلة، وما أشبه ذلك من الأمور المشروعة، فالتعلم هنا مشروع، وقد يكون فرض كفاية أو فرض عين أ.هـ.

وتقول اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء توقعات أهل الأرصاد الجوية لا تخرج عن الظن، والجميع يعلم عدم وقوع كثير مما يتوقعونه، فهم يستدلون بما يرونه في طبقات الجو، مع النظر في الأحوال الأرضية، ويتوقعون وقوع كذا وكذا، وقد يقع وقد لا يقع، وليس هذا من علم الغيب الذي استأثر الله به، ولذا فإن الشخص إذا رأى شيئا في الأفق وتوقع منه حصول شيء كالرياح أو غيرها فلا يعتبر هذا من علم الغيب؛ لأنه استدل بهذه الظواهر التي أطلعها الله للناس على قرب قوع الأشياء، كأمارات بدو الصلاح أو الفساد في الثمار وغيرها، وعلماء الأرصاد فيما ذكر على مثل هذا ينظرون في المراصد ويتوقعون، فإن صدق قولهم فبما أطلعهم الله عليه من الظواهر والبوادر، وإن لم يصدق قولهم، فلأن تلك الظواهر لم تكن على ما حللوه من خبرها.

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (أول أمة محمد ﷺ دخولا الجنة)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد...

روى الشيخان في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفِلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ الْأَنْجُوجُ عُودُ الطِّيبِ، وَأَزْوَاجُهُمْ الْحُورُ الْعِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ»[1].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجة في سننهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣١٤٩ و (م) ٢٨٣٤.

بِنِصْفِ يَوْمٍ وَهُوَ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ» [1].

وروى الإمام أحمد والبزّار في مسنديهما وابن حبان في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ؟ قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ خَلْقِ اللهَّ الْفُقَرَاءُ وَالْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمْ الثُّغُورُ وَيُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً فَيَقُولُ الله ﷻ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ: ائْتُوهُمْ، فَحَيُّوهُمْ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ أَفَتَأْمُرُنَا أَنْ نَأْتِيَ هَؤُلَاءِ فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَادًا يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا، وَتُسَدُّ بِهِمْ الثُّغُورُ، وَيُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً قَالَ: فَتَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ ذَلِكَ فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:٢٤]» [2].

* * *

امرأة نزلت براءتها من السماء (عائشة بنت الصديق ﵂ <٣>)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، ما زلنا مع السيرة العطرة للصديقة بنت الصديق، الطاهرة المطهرة التى أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات، التقية النقية الورعة الزاهدة الفقيهة أم المؤمنين عائشة ﵂ بنت أبي بكر الصديق.

زهد عائشة ﵂:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد عن أم ذرة، قالت: بعث ابن الزبير إلى عائشة ﵂ بمال في غرارتين، يكون مائة ألف، فدعت بطبق، فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست، قالت: هاتي يا جارية فطوري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت أن تشتري لنا لحما بدرهم؟ قالت: لا تعنفيني، لو

(١) (صحيح) اخرجه (حم ت هـ) وصححه الألباني في ص.ج ٨٠٧٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (حم بزار حب) وصححه الألباني في صت ٣١٨٣.

أذكرتيني لفعلت (٢٩).

ولم لا؟! فلقد تربت أم المؤمنين في بيت النبي ﷺ فهلا تعلمنا منها الزهد.

علم عائشة رضي الله عنها:

أخرج الطبراني في المعجم الكبير عن الزهري قال: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل[١]، وجاء في سنن الترمذي عَنْ أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: مَا أَشْكَلَ عَلَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثٌ قَطُّ فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ إِلاَّ وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا[٢].

حياء عائشة رضي الله عنها:

أخرج الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ: إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَاللَّهِ مَا دَخَلْتُ إِلاَّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ [٣].

فيا أيتها النسوة، احذرن من كشف شيء من أبدانكن لغير محارمكن، فإن كثيرًا من النساء يتبعن العرف والعادة، ويمنعن بناتهن من التستر من الأجانب، ويتساهلن أمام زوج الأخت مثلاً أو ابن العم أو ابن الخال أو الجيران وغير ذلك ممن لم يعتبره الله محرمًا لهن، أين هؤلاء من عائشة رضي الله عنها وهي تستتر عن عمر وهو ميت؟!.

ثم أنتم أيها الرجال، كيف بعد كل هذا تتركون نساءكن وبناتكن وأخواتكن يخرجن سافرات إلى الشوارع أمام ذئاب البشر؟!

عائشة رضي الله عنها ويوم الجمل:

يقول الألباني رحمه الله تعالى معلقا في السلسلة الصحيحة: و لا نشك أن خروج أم المؤمنين كان خطأ من أصله و لذلك همت بالرجوع حين علمت بتحقق نبوءة النبي ﷺ عند الحوأب، و لكن الزبير رضي الله عنه أقنعها بترك الرجوع

(١) (رجاله ثقات) أخرجه (طب) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣١٨، مرسل ورجاله ثقات.
(٢) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في مش ٦١٨٥ .
(٣) (صحيح) أخرجه (حم) وصححه الألباني في مش ١٧٧١ .

بقوله: عسى الله أن يصلح بك بين الناس، ولا نشك أنه كان مخطئا في ذلك أيضا، و العقل يقطع بأنه لا مناص من القول بتخطئة إحدى الطائفتين المتقاتلتين اللتين وقع فيهما مئات القتلى، ولا شك أن عائشة ﵂ المخطئة لأسباب كثيرة و أدلة واضحة، و منها ندمها على خروجها، و ذلك هو اللائق بفضلها و كمالها، و ذلك مما يدل على أن خطأها من الخطأ المغفور بل المأجور إن شاء الله.

وفاتها ﵂:

جاء في مسند الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ ذَكْوَانُ حَاجِبُ عَائِشَةَ، أَنَّهُ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى عَائِشَةَ، فَجِئْتُ وَعِنْدَ رَأْسِهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ فَأَكَبَّ عَلَيْهَا ابْنُ أَخِيهَا عَبْدُ اللَّهِ فَقَالَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَسْتَأْذِنُ؟ وَهِيَ تَمُوتُ فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: يَا أُمَّتَاهُ إِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ صَالِحِي بَنِيكِ لِيُسَلِّمْ عَلَيْكِ وَيُوَدِّعْكِ فَقَالَتْ: ائْذَنْ لَهُ إِنْ شِئْتَ قَالَ: فَأَدْخَلْتُهُ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ: أَبْشِرِي فَقَالَتْ: أَيْضًا فَقَالَ: مَا بَيْنَكِ وَبَيْنَ أَنْ تَلْقَيْ مُحَمَّدًا ﷺ وَالأَحِبَّةَ إِلاَّ أَنْ تَخْرُجَ الرُّوحُ مِنْ الْجَسَدِ، كُنْتِ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ إِلاَّ طَيِّبًا، وَسَقَطَتْ قِلاَدَتُكِ لَيْلَةَ الأَبْوَاءِ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يُصْبِحَ فِي الْمَنْزِلِ، وَأَصْبَحَ النَّاسُ لَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ{فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا}، فَكَانَ ذَلِكَ فِي سَبَبِكِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ الرُّخْصَةِ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ جَاءَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ فَأَصْبَحَ لَيْسَ لِلَّهِ مَسْجِدٌ مِنْ مَسَاجِدِ اللَّهِ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ إِلاَّ يُتْلَى فِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَقَالَتْ: دَعْنِي مِنْكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (١).

وفي شهر رمضان من السنة ٥٨ هـ ألم المرض بأم المؤمنين عائشة ﵂ وكانت وصيتها أن تدفن بالبقيع مع صواحبها أمهات المؤمنين وآل بيت رسول الله، وفي ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان، توفيت عائشة ﵂ وصعدت روحها لى ربها راضية مرضية، وقدم أبو هريرة فصلى عليها (٤).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(١) (إسناده صحيح) أخرجه (حم) ٢٤٩٦ وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده قوي.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني التاسع والثلاثون:

من بشائر النصر والتمكين <١١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، من بشائر النصر والتمكين أن مصير الإسلام ليس مربوطاً برجال معينين، فإذا نظرنا في شواهد التاريخ، أتى الصليبيون بلاد المسلمين في القرن الخامس، احتلوا أكثر مدن الشام أكثر من مائتي عام، وسقطت القدس في أيديهم (٩٢) سنة، وقتلوا فيها تسعين ألفاً من المسلمين، وشابت الولدان من أهوال جرائمهم، ولكن رجعت مرةً أخرى إلى المسلمين.

فلقد قام نور الدين محمود الملك العادل ليث الإسلام، وحامل رايتي العدل والجهاد، أظهر السنة وقمع أهل البدعة، شجاع وافر الهيبة، فقاد الجموع، انتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينةً وحصناً.

يقول نور الدين محمود : لما التقينا بالعدو خفت على الإسلام فانفردت ونزلت ومرغت وجهي على التراب وقلت: يا سيدي! -يخاطب الله ﷻ- الدين دينك والجند جندك، وهذا اليوم افعل ما يليق بكرمك، قال: فنصرنا الله عليهم.

قال الفقيه الشافعي النيسابوري يوماً: بالله لا تخاطر بنفسك، فإنك لو قتلت قتل جميع من معك، وأخذت البلاد، وفسد حال المسلمين.

قال: اسكت يا قطب الدين! إن قولك إساءة أدب على الله، ومن هو محمود؟! من كان يحفظ الدين والبلاد قبلي غير الذي لا إله إلا هو؟! ومن هو محمود؟! فبكى من كان حاضراً رحمه الله(٤٧).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في من يتخذ أندادا من دون الله)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأَكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما

بعد..

قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً للّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة: ١٦٥].

إخوتي في الله، لقد أخبر الله تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية، وأكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم يحبونهم كحب الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنما ذُموا بأن أشركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها لله كمحبة المؤمنين له، وهذه التسوية المذكورة في قوله تعالى حكاية عنهم، وهم في النار أنهم يقولون لآلهتهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٦) تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٩٨)} [الشعراء: ٩٦-٩٨]، ومعلوم أنهم ما سووهم برب العالمين في الخلق والربوبية وإنما سووهم به في المحبة والتعظيم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في قوله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٦-١٦٧] : فهؤلاء المتبوعون كانوا على الهدى وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقهم ومناهجهم، وهم مخالفون لهم سالكون غير طريقهم، ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم، فيتبرأون منهم يوم القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله، وهذا حال كل من اتخذ من دون الله أولياء، يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم، فإن أعماله كلها باطلة، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣]، فهذه هي الأعمال التي كانت في الدنيا على غير سنة رسوله وطريقته ولغير وجهه، يجعلها الله هباءً منثوراً لا ينتفع منها أصحابها بشيء أصلاً، وهذا من أعظم الحسرات على العبد يوم القيامة، أن يرى سعيه ضائعاً. وقد سعد أهل السعي النافع بسعيهم. انتهى ملخصاً (٣١).

* * *

obeikandl.com

مشاهد من الدار الآخرة (أصناف أهل الجنة <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، لقد ذكر الله تعالى في كتابه عدة أصناف من أهل الجنة نذكر منها:

١، ٢، ٣ - النبيين والصديقيين والشهداء، قال تعالى:{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً(٦٩)} [النساء: ٦٩].

٤- المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، قال تعالى:{وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١٠٠)} [التوبة: ١٠٠].

٥- المتقين، قال تعالى:{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)} [آل عمران: ١٣٣].

٦- ذوي الاستقامة على الكتاب والسنة، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١٤)} [الأحقاف: ١٤].

٧- المؤمنين الذين يعملون الصالحات، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (١٠٧)} [الكهف: ١٠٧].

٨- الصادقين، قال تعالى:{قَالَ اللّهُ هَـذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(١١٩)} [المائدة: ١١٩].

٩- الصابرين، قال تعالى:{وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٢)} [الإنسان: ١٢].

كما ذكر رسول الله ﷺ عدة أصناف من أهل الجنة نذكر منها ما يلي:

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...» (١).

وروى الدارقطني في الإفراد والطبراني في المعجم الكبير عَنْ كَعْبِ بن عُجْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "أَلا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالصِّدِّيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي جَانِبِ الْمِصْرِ فِي الْجَنَّةِ، أَلا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟"، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "الْوَدُودُ الْوَلُودُ الَّتِي إِنْ ظُلِمَتْ أَوْ ظَلَمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، لا أَذُوقُ غَمْضًا حَتَّى تَرْضَى» (٢).

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، قَالَ عُمَرُ: فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ: وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ -ثلاثا -» (٣).

* * *

امرأة ترث صحائف المصحف (حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لحفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ وأمها زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين، وتزوج خنيس ابن حذافة حفصة بنت عمر بن الخطاب فكانت عنده وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها

---

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٢٨٦٥.

(٢) (حسن) وأخرجه (الدارقطني في الأفراد طب) وحسنه الألباني في ص.ج ٢٦٠٤.

(٣) (صحيح) أخرجه (م) ٩٤٩.

بعد الهجرة مقدم النبي ﷺ، أثر جراح أصابته يوم بدر (٢٩).

الزواج المبارك من رسول الله ﷺ :

جاء في صحيح البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ- أي مات عنها زوجها -، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا - أي فلم يرد علي بقبول أو رفض-، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ - غضبت مني - حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا - أي بما يدل على أنه يرغب في زواجها -، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا [1]، ولعل الحكمة من زواج رسول الله ﷺ بعائشة هو إكرام صديقه ووزيره عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٦٤).

من فوائد هذا الحديث:

١- إن عَرْض الرجل وليته أو ابنته أو أخته على الرجل الصالح اتباع سنة الأنبياء والصالحين، من ذلك: الرجل الصالح صاحب مدين الذي ورد ذكره في سورة القصص:{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ} [القصص:٢٧]، ولم يزل هذا الأمر منذ رسول الله ﷺ ثم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من بعده.

٢- ويظهر من هذا النص مقدار الوضوح في التعامل، ومع أن الرد كان على خلاف المبتغى، إلا أنه كان مريحاً، ثم قارن بما يعانيه الكثير من أفراد مجتمعنا جراء تلك المجاملات المفرطة، فكم من فتاة ضاعت عليها فرصة الزواج بسبب كلمة شفوية جامل فيها أحد الطرفين الآخر، وذهبت الفتاة ضحية

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧٨٣.

المجاملة، وتجد أحياناً أن ولي الفتاة المخطوبة يقع أسير المجاملة الزائفة، فيتنازل عن حق ابنته في المهر، ليحظى بالمديح، ثم تتجرع الفتاة مرارة ذلك الفعل، إذا ما حصل خلاف في المستقبل.

٣- إن حفظ الأسرار وكتمانها من الأخلاق العظيمة التي تُعْلِي من شيم أصحابها وشمائل صفاتهم، وهذا الحديث يؤكد ذلك.

٤- من سبل إزالة الأحقاد: الاعتذار والمعاتبة وهما علاجان مهمان، وهناك فرق بين العتاب والتوبيخ، لا توبخ وتعنف ولكن عاتب (٤٧).

اعتزال النبي ﷺ نساءه :

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ لمسلم عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنْ الْمَرْأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَيْنِ قَالَ الله تَعَالَى{إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا (٤)} [التحريم: ٤]، حَتَّى حَجَّ عُمَرُ وَحَجَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ، وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالْإِدَاوَةِ فَتَبَرَّزَ ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ الله ﷻ لَهُمَا{إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا (٤)} [التحريم: ٤]؟ قَالَ عُمَرُ: وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ، قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ....(١).

الفوائد من هذا الحديث :

١-فيه دليل على استحباب أن يلتمس طالب العلم خلوات العالم ليسأله فينظر إلى خلواته، فإذا رآه وحده، أو رآه منبسطاً، أقبل عليه وسأله، وهذا الذي فعله ابن عباس رضي الله عنهما (٦٣).

٢- الحذر كل الحذر من كتمان العلم في حال يحتاج الناس فيها إلى بيانه أو يسأله عنه مسترشد، والدليل حديث أبي هريرة الذي أخرجه أحمد في مسنده

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٨٩٥ ، و(م) ١٤٧٩ واللفظ لمسلم.

وأبو داود والترمذي في سننهما، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » (١).

٣- من آداب المعلم أن يزجر المتعلم عن الخطأ بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ.

حفصة رضي الله عنها ترث صحائف المصحف من أبيها عمر رضي الله عنه :

روى البخاري في صحيحه عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: تَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنْ الْعُسُبِ وَالرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ فَوَجَدْتُ فِي آخِرِ سُورَةِ التَّوْبَةِ{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:١٢٨]، مَعَ خُزَيْمَةَ أَوْ أَبِي خُزَيْمَةَ فَأَلْحَقْتُهَا فِي سُورَتِهَا، وَكَانَتْ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله ﷻ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ الله، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ رضي الله عنها (٢).

ولمّا أجمع الصحابة على أمر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه في جمع الناس على مصحف إمام ينسخون منه مصاحفهم، أرسل إلى حفصة رضي الله عنها أن أرسلي إلينا بالصُّحُفِ ننسخها في المصاحف، فحفظت الوديعة الغالية بكل أمانة، وصانتها ورعتها.

وفاتها رضي الله عنها :

قال أبو عمر: أوصى عمر رضي الله عنه بعد موته إلى حفصة، وأوصت حفصة إلى عبد الله بن عمر بما أوصى به عمر وبصدقة تصدقت بها وبمال وقفته بالغابة، وأخرج ابن سعد أنها توفيت سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وهي يومئذ ابنة ستين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة (٢).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم د ت) وصححه الألباني في مش ٢٢٣ .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٧٦٨.

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الأربعون:

(تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً <١>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن تاريخ الأمة حافلٌ بالعز بعد الذل، وليس هذا مستغرباً، تعرفون أن التتار لما دخلوا بغداد في عام (٦٥٤) من الهجرة، وذبحوا الخليفة وسبعمائة ألف معه على شاطئ النهر!! وكانت المرأة من التتار تأتي عدداً من رجال المسلمين فتقول: انتظروني هنا حتى آتي بالسكين أذبحكم بها، فينتظرونها حتى تأتي بالسكين فتذبحهم واحداً بعد الآخر وهم ينظرون؛ بسبب الوهن الذي دب في النفوس، وما هي إلا فترة يسيرة حتى عادت بغداد إلى مكانتها، ورجع إليها المسلمون بكل قوة، وانهزم التتار.

وعندما استقر العُبيديون بالقاهرة، وقتلوا علماء أهل السنة، ذبحوا منهم أكثر من ثلاثمائة عالم، وأرادوا القضاء على السُّنَةِ بالكلية، حتى زعم زاعمهم أنه لن تقوم للسُّنَّةِ قائمة بعد اليوم في مصر، ولم تمض سنوات قليلة حتى ذهب الله بهم ورجعت إلى السُّنَّة مكانتها وقوتها، جاء صلاح الدين الأيوبي الذي كان من خدمهم فأصبح قائداً لأهل السنة، وأصبح على تلك المكانة، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم ثلث الليل دائماً، وكان محدثاً، فاجتمع حوله يوماً عدد من طلاب الحديث، فسألوه أن يحدثهم بحديث مسلسل بالابتسامة، وهو حديث مشتهر على ألسنة المحدثين، فحدثهم به ولم يبتسم، فقالوا: لو سمح سيدنا بالابتسامة حتى يتسلسل لنا الحديث، فقال: إني لأستحي من الله أن أبتسم وبيت المقدس بيد الصليبيين، ثم غزا الصليبيين حتى أخرجهم من بيت المقدس وحرره منهم.

أما القسطنطينية فقد غزاها يزيد بن معاوية ومعه أبو أيوب الأنصاري، وغزاها عدد كبير من قادة المسلمين فلم تفتح، فغزاها محمد الفاتح فحاصرها، ففتحها الله عليه، فلما فُتحت ودخل عزيزاً منصوراً كنيسة (أياصوفيا) وهي الجامع الكبير باسطنبول الآن، واجتمع المسلمون للصلاة قال: هل أحد في

الجيش منذ أن بلغ لم تفته تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر في الجماعة؟! قالوا: لا.قال: إنها مسألة كنت أحتسبها عند ربي، ولم يكن يطلع عليها أحد، ولكني اضطررت إلى أن أبينها اليوم، فما فاتتني تكبيرة الإحرام في صلاة الفجر في الجماعة منذ بلغت إلى وقتي هذا، فتقدم فصلى بالناس (٤٤).

* * *

على درب التوحيد (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥].

إخوتي في الله، هذا نهي من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره، وأمر لهم أن يقصروا خوفهم على الله، فلا يخافون إلا إياه. وهذا هو الإخلاص الذي أمر به عباده ورضيه منهم. فإذا أخلصوا له الخوف وجميع العبادة أعطاهم ما يرجون وأمنهم من مخاوف الدنيا والآخرة، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: إن الشيطان يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه، لئلا يجاهدوهم، ولا يأمروهم بمعروف، ولا ينهوهم عن منكر. وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه. ونهانا أن نخافهم.

وقال تعالى: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَنَ يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة:١٨].

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله، كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب.

وأخرج الترمذي في سننه عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﵂ أَنْ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ ﵂ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا

النَّاسِ بِسَخَطِ اللهَّ وَكَلَهُ الله إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ» (١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : هذا من أعظم الفقه في الدين فإن من أرضى الله بسخطهم كان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين،{أَلَيْسَ الله بِكَافٍ عَبْدَهُ} [الزمر:٣٦]،{مَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ} ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً كالظالم الذي يعض يديه فإن العاقبة للتقوى أ.هـ.

وللخوف ثلاثة أقسام:

الأول: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره، وهذا هو الواقع من عباد القبور ونحوها من الأوثان يخافونها، ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وأمروا بإخلاص العبادة لله، وهذا ينافي التوحيد.

الثاني: أن يترك الإنسان ما يجب عليه، خوفاً من بعض الناس، فهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافى لكمال التوحيد.

وأخرج ابن ماجة في سننه وغيره عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الله لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ، فَإِذَا لَقَّنَ الله عَبْدًا حُجَّتَهُ قَالَ: يَا رَبِّ رَجَوْتُكَ وَفَرِقْتُ مِنْ النَّاسِ» (٢).

الثالث: الخوف الطبيعي، وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك.

فهذا لا يذم، كما قال تعالى في قصة موسى عليه السلام{فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص:٢١] (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالحور العين <١>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقَوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

(١) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص.ج ٦٠٩٧.
(٢) (صحيح) أخرجه (هـ حب حميدي كر) وصححه الألباني في س.ص.٩٢٩.

عباد الله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في (حادي الأرواح) عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال:" افتخرت الرجال و النساء، فقال أبو هريرة: النساء أكثر من الرجال في الجنة، فنظر عمر بن الخطاب إلى القوم فقال: ألا تسمعون ما يقول أبو هريرة؟ فقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «في أول زمرة تدخل الجنة: وجوههم كالقمر ليلة البدر، و الثانية كأضواء كوكب في السماء، و لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، و ليس في الجنة عزب» (١).

فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد في مسنده، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ زَوْجَتَانِ مِنْ حُورِ الْعِينِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْعُونَ حُلَّةً يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ» (٢)، فإن قيل: فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ، فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ» (٣)، قيل: هذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا، أما كونهن أكثر أهل النار، لحديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ» (٤).

* * *

امرأة أخذ رسول الله ﷺ برأيها (أم سلمة هند بنت أبي أمية ﵂ <١>)

نحن اليوم على موعد مع السيرة العطرة لأم سلمة هند بنت أمية ﵂ وهي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ﵂، وأبوها: هو زاد الراكب- أي يكفي من سافر معه المؤمنة والزاد-، أحد الأجواد قيل: اسمه حذيفة، وهي بنت

(١) (صحيح) أخرجه (أسلم الواسطي في تاريخه) وصححه الألباني في س.ص ٢٠٠٦.
(٢) (صحيح الإسناد) أخرجه (حم) ٨٥٢٣ وقال الأرنؤوط صحيح الإسناد .
(٣) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٩٨، و(م) ٧٩ واللفظ للبخاري.
(٤) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٦٩ ، و(م) ٢٧٣٧ .

عم خالد بن الوليد، سيف الله؛ وبنت عم أبي جهل بن هشام، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة: أبي سلمة ابن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح (٢٤).

الهجرة إلى الحبشة:

جاء في صحيح السيرة النبوية للألباني قال ابن إسحاق: عن أم سلمة رضي الله عنها قال: لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه فقال لهم رسول الله ﷺ :«**إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه**»، فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار آمنين على ديننا، ولم نخش فيها ظلما [١].

انظر أخي في الله: كيف عانى رسول الله ﷺ وصحابته الكرام كي يصلك هذا الدين غضا طرياً، ولكن في المقابل ماذا قدمت أنت لدين الله؟!

الهجرة الى المدينة:

جاء في البداية والنهاية للحافظ بن كثير رحمه الله تعالى قالت أم سلمة رضي الله عنها: لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة، رحل لي بعيره ثم حملني عليه، وجعل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج يقود بي بعيره، فلما رأته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ قالت: فنزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني منه قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة قالت: ففرق بيني وبين ابني وبين زوجي قالت: فكنت أخرج كل غداة فاجلس في الابطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها، حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة،

(١) (صحيح) صححه الألباني في صحيح السيرة النبوية صفحة ١٧٠.

فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت؟ قالت: فرد بنو عبد الأسد: إلي عند ذلك ابني قالت: فارتحلت بعيري،ثم أخذت ابني فوضعته في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت: وما معي أحد من خلق الله، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال: الى أين يا ابنة أبي أمية؟ قلت: أريد زوجي بالمدينة قال: أوما معك أحد قلت: ما معي أحد إلا الله وابني هذا، فقال: والله مالك من متترك، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري فحط عنه، ثم قيده في الشجر، ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله، ثم استأخر عني وقال: اركبي، فاذا ركبت فاستويت على بعيري، أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال: زوجك في هذه القرية، وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعا إلى مكة، فكانت تقول: ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحبا قط كان أكرم من عثمان بن طلحة (٨).

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي عن مصعب الزبيري: أن أم سلمة رضي الله عنها هي أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة؛ فشهد أبو سلمة بدرا؛ وولدت له عمر، وسلمة، وزينب، ودرة (٢٤).

وهذه القصة لتشهد أنه كان للعرب رصيد من الفضائل مع ما كان فيهم من الرذائل كذلك، فمن ثم اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسله، وكانوا أهلاً لحمل الرسالة، وتبليغها للناس كافة، وتظهر عناية الله تعالى بأوليائه وتسخيره لهم، فهو جل وعلا الذي سخر قلب عثمان بن طلحة للعناية بأم سلمة ولذلك بذل الجهد والوقت من أجلها، كما تظهر سلامة فطرة عثمان ابن طلحة التي قادته أخيراً إلى الإسلام بعد صلح الحديبية، ولعل إضاءة قلبه بدأت منذ تلك الرحلة في مصاحبته لأم سلمة رضي الله عنهم (٢٦).

زواج أم سلمة من رسول الله ﷺ :

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ {إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا» قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ فَقَالَ: أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ[1]. وقد رأى رسول الله ﷺ أنه لا عزاء لها عن فقدها لزوجها إلا به فخطبها، وظاهرٌ أنّ ذلك الزواج ليس لأجل التمتع المباح له وإنما كان لفضلها الذي يعرفه المتأمل بجودة رأيها يوم الحديبية لتعزيتها كما تقدم (٦٤).

رجاحة عقل أم سلمة ﵂ :

أخرج البخاري في صحيحه عن الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ ﵄ يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا - بعد أن انتهى رسول الله من كتابة الكتاب يوم صلح الحديبية - فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنْ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ، فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا...[2].

وجاء في (السيرة النبوية) لفضيلة الدكتور علي بن محمد الصلابي : من هذه القصة يتضح أن رأي أم سلمة كان سديداً ومباركاً حيث فهمت رضي الله عنها عن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ

(١) (صحيح) أخرجه (م) ٩١٨.
(٢) (صحيح)أخرجه (خ) ٢٥٨١.

صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأياً سديداً ومشورة مباركة، وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد، كما أنه لافرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة (٢٦).

فقه أم سلمة رضي الله عنها :

قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله عنها في سير أعلام النبلاء : كانت من فقهاء الصحابيات، ويبلغ مسندها ثلاث مئة وثمانية وسبعين حديثا، واتفق الشيخان لها على ثلاثة عشر، وانفرد البخاري بثلاثة، ومسلم بثلاثة عشر (٢٤).

وفاة أم سلمة رضي الله عنها :

قال الحافظ شمس الدين الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء: وكانت آخر من مات من أمهات المؤمنين، عمرت حتى بلغها مقتل الحسين، الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيرا، لم تلبث بعده إلا يسيرا، وانتقلت إلى الله، وعاشت نحوا من تسعين عاما وتوفيت سنة تسع وخمسين في ذي القعدة (٢٤).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

اللقاء الإيماني الحادي والأربعون:

(تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً<٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، قال الشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي: أخبرني رجلٌ من الفلسطينيين أنه لقي حبراً من أحبار اليهود في فلسطين، فقال له: ماذا تعلم عن المعارك القادمة؟ فقال: ما شأنك وشأنها؟ قال: نعلم أن اليهود سيهزمون في فلسطين، وأن دولتهم ستسقط؟ قال: نعم، ذلك واقع، لكن لستم أنتم أصحاب ذلك، قال: وما يدريك؟ قال: أصحاب ذلك من يكون عددهم في صلاة الفجر في المساجد كعددهم في الجمعة! إذا وصل العدد الذي يشهد صلاة الفجر في الجماعة قدر العدد الذي يشهد صلاة الجمعة فسيحصل ذلك، وهذا الذي قاله هذا اليهودي قد بدأت اليوم ملامحه، فالرجل الذي حدثني بهذا قد توفي رحمه الله، وهو شيخٌ من شيوخ القدس اسمه بيوض التميمي من ذرية تميم الداري ﷺ، وكان عضواً في المجمع الفقهي، واليوم يخبرني عددٌ من الذين يأتون من فلسطين بإقبالٍ عجيبٍ على الله سبحانه وتعالى، وبالأخص في الشباب والنساء، ويذكرون من التزام الناس ما لا يتصوره أحد في ظل القمع الصهيوني والإهانات والأذى.

ومن العجائب الغريبة، ومثله ما حصل قديماً في ليبيا، عندما ظن الإيطاليون الفاشيون أنهم قضوا على الروح الجهادية في ليبيا بالكلية، فوجدوا أن المجاهدين يزداد عددهم، وفي كل فترة يزداد العدد، والحصار والقتل والتشريد مستمر، وكل ذلك يزيدهم عدداً، فقال أحدهم كلمته المشهورة: إن المجاهدين المسلمين كشجرة الصنوبر، كلما قطع منها غصن نبت غصنان، فالعدد يزداد ولا يزيده القتل ولا التشريد ولا السجون إلا زيادةً وتقدماً، فكل هذا يدلنا على أن فجر الإسلام قادم، وأن كل مضايقةٍ له لا يمكن أن تؤثر فيه (٤٤).

* * *

على درب التوحيد (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى : أن التوكل من لوازم الإيمان ومقتضياته قال تعالى:{وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ(٢٣)} [المائدة:٢٣]، فَجُعِل التوكل على الله شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه. وقال تعالى:{وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} [يونس:٨٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان، وبين التوكل والتقوى، وبين التوكل والإسلام، وبين التوكل والهداية في مواضع مختلفة في كتاب الله.

وقال تعالى:{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق:٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله وَغيره: أي كافيه. ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز محض، ذكره الإمام ابن القيم بمعناه.

معاشر الإخوة، التوكل غير المشروع على الله قسمان :

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة. فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل في الأسباب الظاهرة، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله تعالى عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك، فهو نوع شرك أصغر. والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، لكن ليس له أن يعتمد في حصوله ما وكل فيه، بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها، ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (النساء أكثر أهل الجنة بالحور العين <٢>)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

عباد الله، إن نساء الجنة أكثرهم من الحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الدنيا، فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثر أهل النار (١٦).

الدليل على أن أكثر أهل الجنة من النساء وأكثرهم من الحور العين:

أخرج الشيخان في صحيحيهما واللفظ للبخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ، لِكُلِّ امْرِئٍ زَوْجَتَانِ مِنْ الْحُورِ الْعِينِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِنَّ مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ» (١).

الدليل على أن أكثر أهل النار من نساء الدنيا

وأخرج مسلم عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ: وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ وَمَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: أَمَّا نُقْصَانُ الْعَقْلِ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلٍ فَهَذَا نُقْصَانُ الْعَقْلِ، وَتَمْكُثُ اللَّيَالِي مَا تُصَلِّي وَتُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ فَهَذَا نُقْصَانُ الدِّينِ (٢).

* * *

امرأة يزوجها الله لرسوله ﷺ (زينب بنت جحش ﷺ)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﷺ،

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٠٨١ ، و(م) ٢٨٣٤ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٧٩.

فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن على موعد اليوم مع امرأة يزوجها الله لرسوله ﷺ من فوق سبع سماوات إنها الخاشعة الراضية، الأواهة الداعية، زينب بنت جحش بن رئاب ﷺ، ابنة عمة رسول الله ﷺ، أمها: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، وهي أخت حمنة، ولدت بمكة، وكانت من المهاجرات الأول، أسلمت قديماً.

زواجها من زيد بن حارثة ﷺ:

قال تعالى:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً(٣٦)} [الأحزاب: ٣٦].

قال الحافظ بن كثير: قال العوفي: عن ابن عباس ﷺ: قوله:{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ} الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ :«بل فانكحيه»قالت: يا رسول الله، أؤامر في نفسي. فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله ﷺ :{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا} الآية، قالت: قد رضيته لي منكحا يا رسول الله؟ قال:«نعم» قالت: إذًا لا أعصي رسول الله ﷺ، قد أنكحته نفسي.

فلقد أراد الرسول ﷺ أن يحطم تلك الفوارق الطبقية الموروثة في الأمة المسلمة من عادات الجاهلية، ليكون الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وكان الموالي وهم الذين جرى عليهم الرق ثم تحرروا طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن الموالي كان زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ الذي أعتقه ثم تبناه فرأى رسول الله ﷺ أن يزوج زيداً من شريفة أسد وهي ابنة عمته زينب بنت جحش رضي الله عنها، ليبطل تلك الفوارق الطبقية بنفسه في أسرته، وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لا يحطمها إلا فعل واقعي من رسول الله ﷺ لتتخذ منه الأمة المسلمة القدوة، وتسير البشرية على هداه في هذا الطريق، وأيضاً لعل من الحكمة من هذا الزواج أنه كان مقدمة لتشريع آخر سيتبين فيما بعد(٢٦).

زواج رسول الله ﷺ من زينب بنت جحش ﷺ:

قال تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً(٣٧) مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَّقْدُوراً (٣٨) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً (٣٩) مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً(٤٠)}[الأحزاب:٣٧-٤٠].

المعنى: وإذ تقولَ أيها النبي للذي أنعم الله عليه بالإسلام - وهو زيد بن حارثة الذي أعتقه وتبنَّاه النبيُّ ﷺ- وأنعمت عليه بالعتق: أَبْقِ زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها وذلك عندما جاءه زيد يشكو وَهَمَّ بطلاقها فاستأمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله- وتخفي -يا محمد- في نفسك ما أوحى الله به إليك من طلاق زيد لزوجه وزواجك منها، والله تعالى مظهر ما أخفيت، وتخاف المنافقين أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، والله تعالى أحق أن تخافه، فلما قضى زيد منها حاجته، وطلقها، وانقضت عدتها، زوجناكها؛ لتكون أسوة في إبطال عادة تحريم الزواج بزوجة المتبنى بعد طلاقها، ولا يكون على المؤمنين إثم وذنب في أن يتزوجوا من زوجات من كانوا يتبنَّوْنهم بعد طلاقهن إذا قضوا منهن حاجتهم. وكان أمر الله مفعولا لا عائق له ولا مانع. ما كان على النبيِّ محمد ﷺ من ذنب فيما أحلَّ الله له من زواج امرأة مَن تبنَّاه بعد طلاقها، كما أباحه للأنبياء قبله، سنة الله في الذين خَلَوا من قبل، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا لا بد من وقوعه. ثم ذكر سبحانه الأنبياء الماضين وأثنى عليهم بأنهم: الذين يُبَلِّغون رسالاتِ الله إلى الناس، ويخافون الله وحده، ولا يخافون أحدًا سواه. وكفى بالله محاسبًا عباده على جميع أعمالهم ومراقبًا لها. ما كان محمد أبًا لأحد من رجالكم، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، فلا نبوة بعده إلى يوم القيامة. وكان الله بكل شيء من أعمالكم عليمًا، لا يخفى عليه شيء.

الحكمة من زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش رضي الله عنها:

ذكر القرآن أن الله تعالى هو الذي زوج رسوله ﷺ امرأة زيد، وقد كان زيد هذا يدعى ابن رسول الله ﷺ على نحو التبني، وكانت زوجة المدعو ابنا " في ذلك الحين كزوجة الابن الصلبي لا يتزوج بها الأب، فكان حكم الله تعالى

وطلق زيد زوجه. وتزوج بها النبي ﷺ ونزل فيها آيات.

مناقب زينب بني جحش رضي الله عنها :

أخرج البخاري في صحيحه عن أَنَسٍ رضي الله عنه فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوْلَمَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَيْهَا - أي زينب رضي الله عنها -، أَوْلَمَ بِشَاةٍ (١).

وروى البخاري في صحيحه أيضًا عن أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: نَزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ فِي زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَأَطْعَمَ عَلَيْهَا يَوْمَئِذٍ خُبْزًا وَلَحْمًا، وَكَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ الله أَنْكَحَنِي فِي السَّمَاءِ (٢).

وجاء في صحيح مسلم عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ تَزْعُمُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلاً، فَتَوَاصَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنَّ أَيَّتُنَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرَ - أي صمغ حلو له رائحة كريهة- أَكَلْتَ مَغَافِيرَ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: لاَ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ وَلَنْ أَعُودَ لَهُ فَنَزَلَتْ{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ الله لَكَ إِلَى إِنْ تَتُوبَا إِلَى الله} عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا} لِقَوْلِهِ بَلْ شَرِبْتُ عَسَلاً (٣).

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا»، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ (٤).

وفاة زينب بنت جحش رضي الله عنها :

أخرج ابن حجر العسقلاني بسند فيه الواقدي في (الاصابة في معرفة الصحابة)، عن محمد بن كعب: قالت زينب حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددت كفني وإن عمر سيبعث إلي بكفن فتصدقوا بأحدهما وإن استطعتم أن تتصدقوا بحقوي فافعلوا، وماتت سنة عشرين وهي بنت خمسين، ونقل عن عمر بن عثمان الحجبي أنها عاشت ثلاثاً وخمسين (٤).

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٤٨٧٦.
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٦٩٨٥.
(٣) (صحيح) أخرجه (م) ١٤٧٤ .
(٤) (صحيح) أخرجه (م) ٢٤٥٢.

وقال ابن الأثير في (أسد الغابة) أن فاطمة بنت محمد ﷺ أول من غُطّي نعشها في الإسلام، ثم بعدها زينب بِنْت جحش ﷺ (٣).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com

اللقاء الإيماني الثاني والأربعون:

(تاريخ الأمة شاهد على أن بعد الذل عزاً<٢>)

الحمد لله الذي كتب العز والنصر والتوفيق لمن أطاعه واتقاه، وكتب الذل والخزي والعار على من خالف أمره وعصاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

أحبتي في الله، إن تاريخ الأمة يشهد أن بعد الذل عزًا فمعلوم أن الشيوعية الحمراء تمسخ الشعوب وتهجرها، وتعرفون ما حصل فيها من قبل من الاستبداد والشدة، وتعرفون أن شعب الشيشان قد تعرض من قبل للتهجير والإبادة، وأُخرج من بلاده كاملاً، شعب بكامله يُهجر من بلاده، وكذلك الشعوب المجاورة فإنها خضعت تحت سلطان الشيوعية سبعين سنة، وها هم اليوم تخرج منهم النماذج الفذة المدافعة عن الإسلام، وأذكر قبل سقوط الشيوعية أننا كنا في زيارة هنالك، فلقينا امرأة روسية مسلمة كبيرة السن، فأخبرتنا أنها لو وجدت من يريها المصحف لأعطته كل مصوغاتها ومقتنياتها، مقابل رؤية المصحف فقط!!

تقول: أتمنى أن أرى المصحف، ولا تعرف كم جزءًا هو، فهممت أن أعطيها مصحفاً، فنصحني أصحابي وقالوا: لا تفعل، فإنك لو فعلت لماتت من حينها فرحاً به!! وكان الوقت إذ ذاك في شدته وقسوته، وكان الشباب يدرسون أحكام الطهارة والصلاة والعبادات تحت الأرض في الأقبية، وهم الذين خرجوا اليوم يقودون المسلمين في الجمهوريات الإسلامية كلها، أولئك الذين كانوا يتعلمون الأحكام في ظل سلطان الشيوعية الذي يضرب بيدٍ من حديد، وأذكر أن شباباً من طاجكستان أتوني وهم يريدون الدراسة، فوجدت أن كل واحدٍ منهم يلبس ثياباً قد جعل فيها مخابئ- أي جيوب- للكتب، وكانوا يشترون نسخاً من الكتب الصغيرة جداً - المضغوطة- يضعونها داخل ملابسهم، بحيث لا يطلع عليها أحد بوجه من الوجوه، ويخرجونها بصعوبة من داخل ملابسهم، ثم يردونها بعد نهاية الدرس(٤٤).

* * *

على درب التوحيد (ما جاء في القنوط من رحمة الله ﷻ)

الحمد لله الذى جعل التوحيدَ دليلاً على مرضاته، وسبيلاً إلى جناته، فأكرِمْ به صاحباً للعبد من مولده إلى مماته، ومُنجياً له من عذاب القبر وظلماته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد..

إخوتي في الله، المؤمن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء، وقد يُغلِّب أحدهما في بعض الأوقات لحاجة، فإذا عصى غلَّب جانب الخوف ليتوب، وإذا تاب غلَّب جانب الرجاء يطلب عفو الله، فيحرم الأمن من مكر الله ويحرم القنوط من رحمة الله، فالقنوط من الكبائر.

فمن أمن مكر الله ساءت أعماله وأخلاقه وتصرفاته، قال تعالى:{أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف:٩٩]، وأما القانط من رحمة الله فإنهَ يسوء ظنه بربهَ ﷻ فيحصل له من ضيق النفس وتحرجها ما لا يعلمه إلا الله ﷻ، قال تعالى:{وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} [يوسف:٨٧].

بل يجب أن يكون بين الرجاء والخوف بين الأمن والقنوط خائفاً من عذابه وعقابه راجياً رحمته وعفوه فيسير إلى ربه كالطير بالجناحين خائفاً راجياً. هذا هو طريق السعادة، وفَضَّل بعض أهل العلم أن يغلب جانب الخوف حال الصحة وجانب الرجاء حال المرض؛ لأنه حال المرض يضعف عمله فينبغي أن يحسن ظنه بربه أكثر، وفي حال الصحة هو أقدر على المعاصي فينبغي أن يغلب جانب الخوف، والأصل والأساس أن يكون بين الأمرين بين الرجاء والخوف فيخاف الله ويرجوه ويحسن ظنه بربه سبحانه وتعالى ويسارع إلى مراضيه ويحذر بطشه خائفاً راجياً.

فلا يجوز لمن خاف الله أن يقنط من رحمته، بل يكون خائفاً راجياً، يخاف ذنوبه ويعمل بطاعته، ويرجو رحمته، كما قال تعالى:{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} [الزمر: ٩] (٣١).

* * *

مشاهد من الدار الآخرة (من يدخل الجنة بغير حساب)

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر، كتب الفناء على أهل هذه الدار، وجعل الجنة عقبى الذين اتقوْا وعقبى الكافرين النار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد...

جاء في صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا، فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الأُفُقَ، فَقِيلَ : هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ وَمَعَ هَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ»، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَلَمْ يُبَيَّنْ لَهُمْ، فَتَذَاكَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: أَمَّا نَحْنُ فَوُلِدْنَا فِي الشِّرْكِ، وَلَكِنَّا آمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَكِنْ هَؤُلاَءِ هُمْ أَبْنَاؤُنَا فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَطَيَّرُونَ - أي لا يتشاءمون- ، وَلاَ يَسْتَرْقُونَ ، وَلاَ يَكْتَوُونَ ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَقَامَ آخَرُ فَقَالَ: أَمِنْهُمْ أَنَا فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» (١).

ومعنى لاَ يَسْتَرْقُونَ أي : لا يطلبون من غيرهم أن يرقيهم؛ لأن طالب الرقية من الراقي فيه نوع من التعلق بالراقي وسؤاله، لا سيما أن المريض يتشبث فيما يظنه سببا لشفائه بخيوط العنكبوت، فيستجيب لما يطلبه الراقي منه، وإن لم يكن مقتنعا بما يقول له، فيضعف في هذه الحالة كمال توكله على الله؛ ولذلك وصف الله السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب بتمام التوكل؛ لأنهم لا يسألون غيرهم أن يرقيهم، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، فيجمعون بين كمال وقوة الصبر على الابتلاء والضراء، وبين تمام التوكل على الله وحده، والفوز برضاه والثواب على ذلك. وهذا لا ينافي أخذهم بالأسباب مع الاعتقاد أن الله هو النافع الضار، وإنما تركوا ذلك استسلاما للقضاء، وتلذذا بالبلاء، وتحقيقا لكمال التوحيد، وتمام التوكل على الله سبحانه.

وأخرج أحمد في مسنده والترمذي في سننه وابن حبان في صحيحه عَنْ

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٥٤٢٠ .

أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَعَدَنِي رَبِّي ﷻ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ﷻ»(١).

* * *

أم المساكين (زينب بنت خزيمة ﵂)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن اليوم مع السيرة العطرة لأم المساكين زينب بنت خزيمة ﵂ ولقد كانت تسمى بذلك في الجاهلية، وعن الزهري قال: كانت زينب بنت خزيمة الهلالية تدعى أم المساكين- لكثرة برها للفقراء والمساكين-، وكانت عند الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف فطلقها، فتزوجها عبيدة بن الحارث فقتل عنها يوم بدر شهيدا (٢٩).

زواج زينب بنت خزيمة برسول الله ﷺ:

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين فجعلت أمرها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ وأشهد، وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا، وكان تزويجه إياها في شهر رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة (٢٩).

ولعل الحكمة في زواج رسول الله ﷺ أن هذه المرأة كانت مِن فُضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها ﷺ على فضائلها بعد مصابها بزوجها ولم يدعها أرملة تقاسي الذلّ الذي كانت تُجير منه الناس (٦٤).

وفاة زينب بنت خزيمة ﵂ :

جاء في (الطبقات الكبرى) عن محمد بن قدامة عند أبيه قالا: مكثت زينب ﵂ عند رسول الله ﷺ ثمانية أشهر وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر على

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت حب) وصححه الألباني في ص.ج ٧١١١

رأس تسعة وثلاثين شهرا " من الهجرة، وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع (٢٩).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها.

* * *

أعظم امرأة بركة على قومها (جويرية بنت الحارث ﵂)

الحمد لله الذي منَّ على هذه الأمة ببعثة خير البرايا، وجعل التمسك بسنته عصمة من الفتن والبلايا، وكان خير من تأسى به صحابته الكرام ﵃، فاعرفوا قدرهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدي المستقيم، أما بعد..

أيها الأحبة في الله، نحن على موعد اليوم مع أعظم امرأة بركة على أهلها. إنها جُوَيْرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية ﵂، كان اسمها برَّة فسمّاها الرسول ﷺ جويرية، ولدت قبل البعثة بنحو ثلاثة أعوام تقريباً، وتزوجها الرسول الكريم وهي ابنة عشرين سنة، وكان أبوها الحارث سيّداً مطاعاً، قدم على النبي ﷺ فأسلم.

زواج رسول الله ﷺ المبارك من جويرية بنت الحارث ﵂:

جاء في سيرة بن هشام عن ابن إسحاق، عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: لَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَقَعَتْ جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، وَكَانَتْ امْرَأَةً حُلْوَةً مُلَّاحَةً لَا يَرَاهَا أَحَدٌ إلَّا أَخَذَتْ بِنَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَسْتَعِينُهُ فِي كِتَابَتِهَا..فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ، سَيِّدِ قَوْمِهِ وَقَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْك، فَوَقَعْت فِي السَّهْمِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ أَوْ لِابْنِ عَمٍّ لَهُ فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي، فَجِئْتُك أَسْتَعِينُك عَلَى كِتَابَتِي، قَالَ: «فَهَلْ لَك فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَقْضِي عَنْك كِتَابَتَك وَأَتَزَوَّجُك» ؛ قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: قَدْ فَعَلْت. قَالَتْ: وَخَرَجَ الْخَبَرُ إلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ ابْنَةَ الْحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَرْسَلُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ قَالَتْ: فَلَقَدْ أُعْتِقَ بِتَزْوِيجِهِ إيَّاهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ فَمَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمَ عَلَى قَوْمِهَا بَرَكَةً مِنْهَا (٢٥).

جاء في زوجات النبي للأستاذ سعيد أيوب وتزوج رسول الله ﷺ بجويرية ﵂ واسمها برة بنت الحارث سيد بني المصطلق بعد وقعة بني المصطلق، وقد كان المسلمون أسروا منهم كثيرا من بيوتهم بالنساء والذراري، فتزوج النبي ﷺ بها، فقال المسلمون: هؤلاء أصهار رسول الله ﷺ لا ينبغي أسرهم وأعتقوهم جميعا، فأسلم بنو المصطلق بذلك ولحقوا عن آخرهم بالمسلمين وكانوا جما غفيرا وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب وكان هذا العمل من الأسباب الرئيسة لتصدع جبهة المشركين، وذلك أن أبا سفيان بن حرب كان يرتكز في حربه للنبي ﷺ على هذا البطن من خزاعة بني المصطلق، فلما أسلموا تصدعت جبهة أبي سفيان، وفتح الطريق أمام الدعوة بعد ذلك وأرسلت الرسائل إلى القادة والملوك (٢٣).

جويرية بنت الحارث ﵂ في بيت النبوة:

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قَالَتْ: لاَ، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ: لاَ. قَالَ: «فَأَفْطِرِي»[1].فهلا تعلمنا أنه لا يجوز صيام الجمعة منفردا بل يصام مع يوم قبله أو يوم بعده لنَهْي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذلك.

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ فَقَالَ :«مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا ؟» قَالَتْ : نَعَمْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ : سُبْحَانَ اللهِ ، وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ »[2].

يالها مَن نصيحة غالية فهيا بنا نتعلمها ونعمل بها ونعلمها لإخواننا.

وفاة جويرية بنت الحارث ﵂ :

جاء في (الطبقات الكبرى) لابن سعد: توفيت جويرية زوج النبي ﷺ، في شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وصلى

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ١٨٨٥.
(٢) (صحيح) أخرجه (م) ٢٧٢٦ .

عليها مروان بن الحكم وهو يومئذ والي المدينة، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة (٢٩).

فرضي الله عنها وأرضاها وجعل جنة الفردوس الأعلى دارها

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

obeikandl.com